

## فضاء للعيش أم فضاء للقوة: عالم النقود لدى المرأة المصرية العاملة

### أولاً : المشكلة

ثمة نظرة تقليدية لعلاقة المرأة بالنقود، ترتبط بنظام تقسيم العمل فى الأسرة الذى يقوم فيه الرجل بالأعمال الخارجية، والتي تتعلق بشكل أكبر بتدبير الموارد المالية للأسرة وإدارتها، وتقوم المرأة بالأدوار المنزلية التى لا ترتبط بالضرورة بتدبير الموارد المالية أو إدارتها، ومن هنا تطورت النظرة إلى الرجل بوصفه المسيطر على الموارد المالية والمتحكم فيها، وإلى المرأة بوصفها المستقبلية للموارد المالية والمتصرفة فيها. ثمة عالمان هنا، عالم الإنتاج الذى يرعاه الرجل ويتحكم فيه، وعالم الاستهلاك الذى ترعاه المرأة وتتحكم فيه، بتوجيه من الرجل طبعاً، ومن هنا نبعت كل الثنائيات التى شكلت النظرة إلى المرأة : الداخلى والخارج؛ البيت والعمل؛ الأعمال الإنتاجية والأعمال المنزلية؛ الأدوار المنزلية والأدوار الإنتاجية. ولكن هذه النظرة التقليدية للمرأة بعامة وعلاقتها بالنقود خاصة ما لبثت أن تغيرت على أثر مكتشفات ميدانية ونظرية منها:

(١) إن المرأة فى المجتمعات التقليدية كانت لديها قدرة على إدارة النقود، وعلى تدبير الموارد، بل على استثمار النقود وادخارها. فثمة

أحمد زايد

دراسات عديدة أجريت فى إطار مجتمعات تقليدية - كالمجتمع الإسلامى فى زمن الإمبراطورية العثمانية - أكدت أن بعض النساء كان لديهن القدرة على إدارة موارد مالية كبيرة، بل وتشغيل الرجال وإدارة أمورهم. حقيقة أن هذه الدراسات قد أكدت على أن الرجال يتفوقون على النساء فى مقدار الثروة أو الملكية، وأن النساء حرمن من حيازة أنواع معينة من الملكية شأن الأرض أو الملكيات التجارية. ولكن هذا لم يمنع من وجود مساحة تستطيع فيها النساء استخدام ما لديهن من موارد (اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية) فى اكتساب بعض السيطرة على حياتهن والمواقف المحيطة بهن. ومن هنا ظهرت بعض النساء «... كصاحبات أدوار فى الحياة الاقتصادية؛ إذ اشترين الأملاك وبعنها، وورثن الثروة وأوصين بها، وأسسن «الوقفات»، واقترضن مالا وأقرضنه، بل وفى بعض الأحيان كن حائزات لك «تيمار» ولحقوق الانتفاع بأرض «الميرى» واستأجرن المزارع ودخلن شريكات فى أعمال التجارة... ونشأ بلوغهن الثروة من خلال الميراث والصدقات وحقوق المستفيدات من الهبات الدينية، وكثيرات منهن اضطلعن بدور فعال فى إدارة الثروة واستثمارها بعد أن حُزن الملكية، وفضلا عن ذلك ظهرت فاعليتهن فى تأهبهن للمطالبة بحقوقهن فى الملكية وللاحتجاج على أى انتهاك لتلك الحقوق»<sup>(١)</sup>.

(٢) ومن جانب آخر، أكدت البحوث الحديثة أن مشاركة المرأة فى تقسيم العمل المنزلى لا يجب بالضرورة أن تنعكس فى شكل نقدى. فثمة أعمال كثيرة تقوم بها المرأة، وهى تعكس قيمة مادية، ويمكن حسابها نقديا، ولكنها لا تتقاضى عليها أجراً. من هذه الأعمال صنوف كثيرة من الأعمال المنزلية، وصنوف كثيرة من الأعمال خارج المنزل، كالعمل فى الحقل، والذهاب إلى الأسواق، وتسويق المنتجات، وشراء السلع. وتعكس هذه الأنشطة مشاركة اقتصادية حقيقية من جانب المرأة فى الأسرة، وقد تكسبها بعضا من المكانة والقوة، كما تتبدى فى مشاركتها فى صناعة القرار داخل الأسرة، ومشاركتها فى إدارة الميزانية الأسرية، وتصريف الأمور المادية اليومية<sup>(٢)</sup>. والفكرة المحورية التى يمكن أن تشتق من مثل هذه الدراسات هى

(١) جوديث تاكر ومارجريت مريوزر، النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث، ترجمة أحمد على بدوى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٣٣.

(٢) انظر الدراسات التى وردت فى الكتاب الذى حرره ريتشارد انكر والذى نشر بالعربية بعنوان: «المرأة والمشكلة السكانية فى العالم الثالث»، ترجمة علياء شكرى وآخرين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥.

أن قوة المرأة لا يجب بالضرورة أن ترتبط بالنقود، أو السيطرة عليها، خاصة عند مستويات دخل معينة. ففي الأسر التي تحتاج إلى هذه الصور من الأعمال غير المأجورة للمرأة، والتي لا يمكن للأسرة أن تستغنى عنها، تكتسب المرأة قدراً لا بأس به من القوة والمكانة. ولقد تدعمت هذه النتيجة من خلال دراسات أخرى حول إدارة المرأة للأسرة في حالة غياب زوجها بالمرض أو الهجرة أو الموت، ففي هذه الحالات تمتد قوة المرأة من داخل الأسرة إلى خارجها، وتصبح حركتها داخل المجتمع المحلي، وعبر النطاق المحلي، أكثر كثافة وعمقاً<sup>(٣)</sup>.

في ضوء هذه النتائج، لم تعد هذه القسمة بين العالم الخارجي الذكوري، والعالم الداخلي الأنثوي قسمة مقبولة، كما أصبحت علاقة المرأة بعالم المال والأعمال الاقتصادية علاقة أكثر تعقيداً من أن ينظر إليها في ضوء الأجر العائد من العمل المباشر للمرأة. ولقد ساهمت الدراسات المعاصرة في بلورة هذه النتيجة وأحكامها؛ فالعلاقة بين المرأة وعالم المال، تستغرق عدداً كبيراً من المتغيرات، وهي ليست بالضرورة علاقة مباشرة. ومن ثم فقد يكون مفيداً أن نعرض لنتائج بعض البحوث المعاصرة التي تلقي الضوء على عدد من المتغيرات الفاعلة في هذه العلاقة:

فمن ناحية تؤكد البحوث النابعة من «نظرية التبادل» أن النقود تعد مصدراً أساسياً لقوة المرأة ومكانتها داخل الأسرة. وتتأسس هذه البحوث على فكرة مؤداها أن العلاقة بين الزوجين تقوم على استراتيجيات تفاعلية يستخدم فيها كل طرف ما لديه من موارد. وتتعاظم منافع الفرد كلما كان قادراً على استخدام ما لديه من موارد استخداماً أمثل. تلك الموارد التي تنقسم إلى قسمين: موارد خارجية (ذرائعية) كالحالة الاقتصادية (بما فيها ملكية النقود)، والمهنة، والمكانة الاجتماعية؛ والموارد الداخلية (أو غير الذرائعية) والتي ترتبط بالخصال الشخصية، والقدرة على الحب والعاطفة والجاذبية، والقدرة على التوافق مع الأدوار المتوقعة. وبالرغم من أن

(٣) أنظر حول تأنيث الأسرة أو تأنيث الفقر Feminization of Poverty:

- إيمان سليم، تأنيث الفقر، بحث منشور، المؤتمر الثاني بكلية التجارة «بنات» بجامعة الأزهر، ١٩٩٨.

- نهى فاطرجى، الأوضاع السيئة للمرأة في العالم، متاحة على الموقع الإلكتروني:

[http://www.amanjordan.org/anon\\_studies/wmview.php?Arsto:957](http://www.amanjordan.org/anon_studies/wmview.php?Arsto:957).

- Wittekind, J. & Wilke, S. Feminization of Poverty in the Labor Force:1980-1998, Journal of the Alabama Academy of Science, vol.1, October 2000.

بحوث نظرية التبادل تبرز أهمية الجوانب الشخصية والإنسانية كموارد في عملية التفاعل، إلا أنها تنظر إلى الموارد الاقتصادية باعتبارها مصدراً أساسياً للقوة والمكانة في علاقة الرجل بالمرأة<sup>(٤)</sup>.

ومن ثم تقدم نظرية التبادل نموذجاً عقلانياً، يطرح العلاقة بين الرجل والمرأة على أنها تتأسس على تبادل المصالح، وهي علاقة غالباً ما تقوم على المحاسبة والاختيار الحر والفعل الرشيد. وهي علاقة هدفها تحقيق أعلى درجة من الفائدة وأقل درجة من الخسارة، فبالرغم من أن الرجل والمرأة داخل الأسرة يدركان المنفعة ويسعيان إليها، إلا أن كلا منهما يدرك أهمية وجود الآخر ويتصرف تجاهه في ضوء المعايير العامة. فهي علاقة لا تخلو من تبادل المنافع وحساب التكلفة والعائد، ومقارنة البدائل المتاحة التي تدفع كل طرف في التفاعل (الزوج والزوجة) إلى اختيار نمط السلوك الذي يسير عليه. وفي هذه الحالة - التي تبدو كنموذج مثالي - يكون للنقود دور هام في تحديد نمط التفاعل داخل هذه العلاقة؛ فالنقود كوسيط تبادلي تمنح من يسيطر عليها - إدارة أو ملكية - مساحة أكبر من القوة والقدرة على التأثير وعلى تملك أدوات للقهر أو المنح أو المنع أو التسلط أو التحكم أو التأثير، ومن هنا تحرص نظرية التبادل على تأكيد فكرة أن أطراف التفاعل يتنافسون تنافساً شديداً في تملك الموارد أو السيطرة عليها، وأن التفاعل التبادلي - في صورته المثالية - قد لا يسمح لأحد بالسيطرة على الأطراف الآخرين.

ومع ذلك يبقى هذا النموذج العقلاني في التفاعل نمطاً مفارقاً للواقع، يستمد قيمته من قيمة المنهجية وليس من تراثه النظري. فهو يمكننا من أن ننظر في الواقع لنرى إلى أي مدى يقدم هذا الواقع أمثلة للاختلاف أو الاتفاق. كما يستمد هذا النموذج العقلاني أهميته أيضاً من قيمته التطبيقية؛ فالفكرة التي تقوم عليها نظرية تمكين المرأة - الفقيرة اقتصادياً والضعيفة ثقافياً - تعتمد على تنمية القدرات التي تجعل المرأة مستقلة. ومن أهم هذه القدرات: قدرتها على التحكم في مواردها، والتحكم فيما تحصل عليه من دخل، وقدرتها على إيجاد وسائل لحماية استقلالها

(٤) انظر حول نظرية التبادل :

- Russell Cropanzano, "Social Exchange Theory", *Journal of Management*, vol.31, No.6, pp.874-900 (2005).

- Peter Michael, "Exchange and Power in Social Life", New Brunswick : Transaction Books, 1986.

وتحكمها فى الأمور التى تتعلق بذاتها. وتفترض نظريات التمكين أن هذا الاستقلال الاقتصادى، والقوة الاقتصادية للمرأة، يُمكنانها من الاستفادة بشكل أكبر من خدمات الصحة والتعليم ومن القدرة على المشاركة الاجتماعية. ولقد أكد تقرير التنمية الإنسانية العربية «نحو نهوض المرأة فى الوطن العربى» هذه الفرضية عندما قرر «إن اكتساب النساء للقدرة البشرية شرط لازم لتوظيف القدرات فى إنتاج مقومات الرفاه الإنسانى، ولكنه بالتأكيد غير كاف. فهناك أدلة على بقاء قدرات النساء معطلة نتيجة للعديد من العوامل الثقافية والاجتماعية. ولعل إفساح المجال للنساء المساهمة فى النشاط الاقتصادى خارج نطاق الأسرة يكون أحد الحلول الأساسية لتمكين المرأة»<sup>(٥)</sup>.

وإذا سلمنا بهذا النموذج النظرى لقلنا مباشرة إن تملك المرأة للنقود من مصدر دخل خاص يترتب عليه مباشرة منحها فضاءً للقوة والاستقلال. وتلك قضية نحاول فى هذا البحث أن نطورها من خلال القول بأن فضاء القوة هذا ليس هدفاً فى حد ذاته، وإنما هو وسيلة لخلق فضاء آخر للعيش ولاستمرار حياة الأسرة. بل إن فضاء العيش قد يسبق فضاء القوة فى ضوء الظروف الثقافية والاقتصادية التى تعيش فيها المرأة، خاصة تلك التى تعيش فى كنف صور الحداثة الطرفية التى ما تزال تتعايش فيها أنماط وقوالب ثقافية جامدة حول مكانة المرأة، والتى ما تزال تتعايش صوراً من الاقتصاد المعيشى الذى يفرض على المرأة صوراً من العمل الشاق، والتى يختنق فيها النمو الاقتصادى والاجتماعى فيفرض ضغوطاً متنامية من الفقر والتهميش وصوراً مختلفة من الحرمان.

فى هذا الطرف قد تختلف علاقة المرأة بالمال عن هذا النموذج المثالى. قد تكون النقود وسيلة لاستمرار الحياة والتخفيف من عبء الحرمان، ومواجهة الظروف الاقتصادية الصعبة، وفى هذه الحالة يصبح تفسير العلاقة بين القوة وبين الاستقلال وبين تملك المرأة للنقود محل مراجعة، أو قل محل تطوير. وقد أكدت البحوث التى أجريت على المستويين العالمى والمحلى شرعية هذه المراجعة.

(٥) تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٥ «نحو نهوض المرأة فى الوطن العربى»، برنامج الأمم المتحدة الإنمائى، الصندوق العربى للإنماء الاقتصادى والاجتماعى، برنامج الخليج العربى لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية، ص ٢١٥.

١- فعلى المستوى العام ظهرت فروض حول طبيعة القوة التي يمكن أن تتولد من خلال حيازة النقود أو إدارتها، وارتبطت هذه الفروض بالدراسات المتعلقة بميزانية الأسرة والتحكم فى الإنفاق. ومن أهم الأفكار فى هذا الصدد ما طرح حول نسبية القوة أو إطلاقها. فالقوة داخل الأسرة ليست كما يتم احتكاره، بل يمكن التفرقة بين مستويات منها. من ذلك - على سبيل المثال - التفرقة بين القوة التنسيقية *Orchestration power* والقوة التنفيذية *Implementation power* على اعتبار أن النمط الأول يرتبط بالقوة الإشرافية والإدارية، التى تؤثر تأثيراً كبيراً فى تحديد مسار الأسرة وأسلوب حياتها وخصائصها ومسار القرارات داخلها، ويعد هذا نمطاً من القوة يرتبط بتنظيم حياة الآخرين. أما النمط الثانى فإنه يرتبط بالقوة المتعلقة بتنفيذ القرارات، وغالباً ما تمنح هذه القوة لأصحابها قدرًا من الحركة ومن التأثير فى مجريات الأمور داخل الأسرة. ويتوزع نمط القوة على هذا النحو لا وفقاً للتحكم فى الموارد فقط، ولكن وفقاً لطبيعة العلاقة بين أفراد الأسرة، ونظام تقسيم العمل داخل الأسرة، وغالباً ما يقوم توزيع الأدوار عبر هذا النمط داخل الأسرة على ضرب من الاتفاق، وليس على ضرب من الصراع<sup>(٦)</sup>. وثمة فروض أخرى ترتبط بالفصل بين كسب النقود وإدارتها داخل الأسرة. فالظروف التى تهيئ لعضو فى الأسرة الفرصة لإدارة النقود قد ترتبط بخصائص أبعد من حيازته لها، كالسن والخبرة الشخصية، بجانب دوره فى توليد هذه النقود بطبيعة الحال. وفى ضوء ذلك تفرق البحوث بين أنماط مختلفة لإدارة النقود؛ قد يسيطر فيها الرجل أو المرأة، وقد لا يسيطر فيها أى منهما عبر نمط ثالث يُعرف بالإدارة الجماعية لميزانية الأسرة، وهو النمط الأكثر شيوعاً فى الأسر العاملة<sup>(٧)</sup>. على أن هذه الإدارة الجماعية لا تمنع كل طرف من توجيه ما تحت يده من نقود إلى الاهتمامات الخاصة به: وتطور البحوث هنا فرضية هامة مفادها أن اهتمامات المرأة فى إنفاق ما تحت يديها من

(٦) Safilios Rothschild, "A Macro and Micro-Examination of Family Power and Love", *Journal of Marriage and the Family*, vol.37, pp.355- 362, 1976

(٧) - Fronces Woolly & Marshall Judith, "Measuring Inequality within the Household" *Review of Income and Wealth*, 40 (4), 415-431, 1994.

- Frances, Woolley, "Control Over Money in Marriage", *Journal of Socio-Economics*, vol.37 (2), 592-611, April 2008.

- Woolley, "Why pay child benefits to mothers?", *Canadian Public Policy*, 30 (1), 47-90, 2004.

نقود يتجه إلى الأطفال، وإلى تحسين الخدمات التي تحصل عليها الأسرة. فجل اهتمام المرأة ينصب - فى حالة ما إذا زاد دخلها أو دخل الأسرة - على الأطفال، فى حين ينصب جل اهتمام الرجل على أموره الشخصية مثل التدخين والملابس<sup>(٨)</sup>. ففضاء للعيش إذن، ولا استمرار الحياة كنتيجة لحيازة النقود من قبل المرأة.

٢- وعلى المستوى المحلى تركز الدراسات العربية على استمرار السياق الثقافى الذى يحدد للمرأة صورة خاصة ووضعاً خاصاً، رغم التغيرات التى طرأت على المجتمع، والتى جعلت المرأة أكثر استقلالاً وأكثر سيطرة على الموارد الاقتصادية. فثمة تأكيد على أن المرأة أصبحت شريكة فى حياة الرجل الاقتصادية، وهى تساهم مساهمة فعالة فى مساعدة الزوج مادياً وفى تقديم العون للعائلة. ومع ذلك فإن المرأة - خاصة العاملات فى مهن متوسطة وهامشية - تعيش واقعاً قد لا يمنحها استقلالاً اقتصادياً؛ فما تزال السلطة الذكورية بمفهومها التقليدى عائقاً أمام تحقيق الأوساط المتوسطة من التعليم والأوساط الأمية، لاستقلالها الاقتصادى، هذا فضلاً عن تعذر تكوين أسر نووية مستقلة اقتصادياً، حيث تضطر نسبة كبيرة من الأسر (المغربية) لمساعدة المرأة لعائلتها الأبوية<sup>(٩)</sup>. وحتى إذا ما حققت المرأة قدراً من الاستقلال المادى، وإرادة التحكم فى دخلها، فإن ذلك يجب أن يحاط بإطار ثقافى لا يقلل من شأن الرجل أو أن يحط من مكانته وقد أكدت البحوث المصرية هذه الفرضية حيث أكدت دراسة أجريت فى الثمانينات على أن الدخل الذى يرد إلى المرأة من عمل ثابت تؤديه، خاصة الوظيفة الحكومية، يخضع لإرادتها، وثمة تأكيد على أن المرأة العاملة تتحكم فى العائد من دخلها كما تشاء، وهى تنفقه على الأسرة إذا أرادت ذلك. كما كشفت الدراسة فى الوقت نفسه عن نتيجة هامة فيما يتصل بعلاقة المرأة بالنقود مفادها أن ثمة ازدواجية فى الخطاب حول النقود والسيطرة عليها وإدارتها داخل الأسرة، فالزوجة تعلن دائماً أن زوجها هو صاحب الإنفاق الرئيسى، وهو واجهة الأسرة وربها، ولكن الواقع الفعلى يكشف عن تفاصيل تؤشر

(٨) - Duncan Thomas, "Intrahousehold Resource Allocation : An Inferential Approach", *Journal of Human Resources*, 25 (4), 635-668, 1990.

(٩) فاطمة الزهراء ازرويل، المرأة بين الواقع والتصور : الوضع النسائى فى المغرب نموذجاً، فى : دلال البرزى وفاطمة الزهراء ازرويل (محررا)، المرأة بين الواقع والتصور، القاهرة : دارالمرأة العربية للنشر، ١٩٩٥، ص ص ٢٠-٢١.

على دور غير ظاهر للمرأة فى إدارة نقود الأسرة، وأن هذا الأمر ينسحب فى بعض الأحيان على إدارة دخل المرأة<sup>(١٠)</sup>.

وأكدت دراسة أحدث النتيجة نفسها، فقد أشارت إلى أن دخل المرأة يمنحها قدرة على الحركة والفاعلية داخل الأسرة، ولكن هذه المشاركة لا تسمح للمرأة أبداً أن تتباهى بها أو أن تمنّ بها على زوجها، أو أن تُذكره بها على نحو علنى (قد يحدث ذلك فى حالات قليلة طبعاً). ومثل المرأة فى ذلك وكما وصفت إحدى حالات الدراسة «مثل زوجة أيوب التى باعت شعرها عليها وهى راضية»<sup>(١١)</sup>. وتصبح المرأة بهذا السلوك هى التى تساهم فى تكريس الثقافة التى تتصادم مع مصالحها، أو تكريس ثقافة التفوق الذكورى، والاستبداد الأبوى. وتلك قضية أخرى على أية حال.

وبناء على هذه النتائج يحق لنا أن نطرح مشكلة علاقة المرأة بالنقود والقوة أو النفوذ على نحو مغاير؛ صحيح أن القوة قد تكون مطمحاً وهدفاً، وتحقق النقود هذا المطمح وذلك الهدف بقدر معين، ولكن العيش فى الأسرة، واستمرار حياتها تكون هدفاً أكبر. ثمّة مجالان أو فضاءان يمكن أن نتحدث عنهما عند التعرض للمرأة داخل الأسرة: فضاء القوة من ناحية وفضاء العيش من ناحية أخرى. تجلب النقود للمرأة (فى شكل دخل أو ميراث) فضاء القوة والاستقلال، فتدخل إليه ولكنها تصادف واقعاً مختلفاً، أكدته الدراسات التى عرضنا لبعضها ونحن نحاول الاقتراب من مشكلة هذا البحث. تصادف واقعاً أسرياً لا يقوم بالضرورة على حساب الأرباح والخسائر، تتفاعل فيه هذه المرأة مع زوج وأطفال، ومع إطار قرابى أوسع. ألا تكون قوتها واستقلالها وسيلة للحفاظ على رواج هذا الواقع واستمراره؟ كما تواجه - كما هو الحال فى مجتمعاتنا - واقعاً ثقافياً غليظاً يضع الرجال فى الصدارة، وهم «عنوان الحياة وتاجها»، هكذا تصنفهم قوالب الثقافة الجامدة. فماذا هى صانعة باستقلالها وقوتها؟ هنا يظهر فضاء العيش بقوة، وتصبح له متطلبات قد تتناقض مع متطلبات فضاء القوة. وهنا ربما تكون المساومة هى أفضل الحلول. ومن هنا يطرح السؤال المحورى فى هذه الدراسة: ما علاقة المرأة المصرية العاملة بالنقود؟

(١٠) علياء شكرى، وحسن الخولى وأحمد زايد، المرأة فى الريف والحضر: دراسة لحياتها فى العمل والأسرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨، ص ٣٥٣-٣٥٦.

(١١) علياء شكرى، قضايا المرأة المعاصرة بين التراث والواقع، منشورات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ص ٣٨٥ وما بعدها.



هل تمنحها النقود (الدخل فى هذه الحالة) مساحة من القوة والاستقلال، أم أن النقود - وربما القوة المصاحبة لها - تتحول - مع مشاق الحياة وغلظ ثقافتها - إلى وسيلة لخلق فضاء من العيش المشترك؟

## ثانياً: المنهج :

لتحقيق أهداف هذه الدراسة كان علينا أن نتوجه إلى جمع مادة ميدانية من نساء مصريات عاملات من مستويات تعليمية مختلفة، ووظائف مختلفة، ومن ثم ذوات مستويات اجتماعية اقتصادية مختلفة. وفى ضوء ذلك اتجهنا نحو مقابلة عشرين امرأة تتوافر فيهن الشروط التالية :

- ١- يعملن فى وظائف (أنشطة) اقتصادية ثابتة تدر دخلاً شهرياً ثابتاً،
- ٢- تزوجن أو سبق لهن الزواج.
- ٣- لديهن أولاد.
- ٤- يتنوعن فى السن وفى المستويات التعليمية.

وقد استخدمنا فى جمع المادة أسلوباً كفيلاً يعتمد على المقابلات المفتوحة التى تحكى المرأة فيها علاقتها بالنقود على نحو تفصيلي. ولتوجيه المقابلة نحو تحقيق أهداف البحث، تم استخدام دليل للمقابلة يتضمن عدداً من الأسئلة المفتوحة حول دخل المرأة ومصادره، وحول طريقة تنظيم ميزانية الأسرة، وبنود الإنفاق، والسلوك الإذخارى للمرأة، وبنود الإنفاق الخاصة بها وبكل عضو فى الأسرة، والطريقة التى يتم بها تنظيم هذا الإنفاق، وأشكال الترويح عن النفس فى الأسرة، وقضاء وقت الفراغ، والطموحات المادية والاستهلاكية للمرأة . ولم يكن الدليل يستخدم أثناء جمع المادة، فلقد كانت المقابلة مفتوحة، ولكن الباحث يوجه المقابلة دائماً نحو موضوعها الأساسى. وقد تم تدوين المقابلات فى صفحات عديدة (تراوحت المقابلة الواحدة فيما بين ٧ و ١٠ صفحات).

وقد قمت بقراءة كل المقابلات، وأعدت صياغة كل منها فى لوحة بانورامية تلخص المضمون الأساسى للبيانات التى تضمنتها المقابلة . ولقد كتبت هذه اللوحات بلغة مختلفة عن لغة السيدة التى تمت مقابلتها، ولكن كلماتها وعباراتها المميزة والدالة جاءت بين السطور لتعطى الإحساس بروح المقابلة وسياقها وتم اختيار عنوان لكل لوحة من كلمات صاحبته. ويمكن أن نعتبر أن تلخيص المقابلات

فى لوحات بانورامية كان القراءة الأولى لهذه المقابلات، وكان لابد أن تخضع هذه اللوحات لقراءة تأويلية ثانية، وهى القراءة التى مكنتنا فى النهاية من أن نستخلص عدداً من النتائج، وأن نطور عدداً من الفروض يجدها القارئ فى القسم الأخير من هذا البحث ، وبعد أن يفرغ من قراءة اللوحات.

### ثالثاً : عشرون لوحة من عشرين أسرة

#### (١) «ربنا يبارك لى فى القرش»

نرمين تبلغ من العمر أربعين عاماً، تعمل مديرة للشئون القانونية فى أحد معامل التحليل الطبى. تزوجت من مهندس سيارات، وأنجبت طفلين. تتقاضى نرمين من وظيفتها حوالى ١٠٠٠ جنيه شهرياً، ويكسب زوجها ضعف مرتبها شهرياً، بجانب إيجار محل ورثه الزوج من أبيه، وإيجار الشقة القديمة التى كانت تسكن فيها الأسرة. تعتقد نرمين أن دخل زوجها هو الذى يجعل الأسرة لا تحتاج إلى شئ . دخل الأسرة يكفيها شهرياً، تعتقد نرمين أن أسرتها تنفق كثيراً فهى وزوجها والأولاد لديهم قدر من الإسراف، ومن ثم فلا طريق إلى التوفير. هى لا تحاول أن تدخر شيئاً، كما أنها لا تشتري ذهباً، ولكنها تحتفظ بحليها التى أهداها لها زوجها عند الزواج، ولم تضيف عليها إلا القليل.

تسير الأسرة فى حياتها على نظام لتقسيم العمل فيما يتصل بالإنفاق، فكل حاجات المنزل والأولاد يتكفل بها الزوج، ويترك لها زوجها مرتبها تتصرف فيه كما تشاء. هى تساهم فى دفع فاتورة الكهرباء، والمياه، والغاز، وأجر البواب، ثم تنفق باقى مرتبها على نفسها.

تلعب الزوجة دوراً كبيراً فى إدارة حياة الأسرة، فهى التى تشتري كل شئ، حتى ملابس زوجها، وهى التى تدير شئون الأولاد، وتتابعهم فى المدرسة. تحرص نرمين على أن تبدو فى مظهر لائق، وتحرص على انتقاء ملابسها والاكسسورات اللازمة لها، وهى تشتريها من نقودها، وأحياناً من نقود زوجها (خاصة فى عيد ميلادها) تعتقد نرمين أنها تختلف قليلاً عن الأخريات، فهى لا تحاول أن توفر من مصروف البيت ولا تبخل على أطفالها بشئ، فهى «ضميرها صاحى يعنى عمرى ما فكرت أعمل زى باقى الستات وأوفر من فلوس البيت حاجة ليه، عشان كده تلاقى ربنا مبارك ليه فى القرش».

تقضى نرمن بعض الفراغ فى زيارة الأهل، وتخرج أحياناً مع أولادها إلى الملاهى أو حديقة الحيوان، وتحرص على الذهاب إلى المصيف كل عام، وتتمنى أن يكون لها سيارة خاصة.

## (٢) «اللى فى جيبك أحسن من اللى فى جيب غيرك»

تعمل مدام حورية (٣٢ سنة) اخوائية اجتماعية بمدرسة اعدادى. متزوجة من مدرس كيمياء، وتسكن هى وزوجها وأطفالها الثلاثة فى شقة من ثلاث غرف، مزودة بتليفون ومعظم الأجهزة الكهربائية. وتملك الأسرة سيارة ، فضلاً عن ثلاثة تليفونات نقالة. تعتقد حورية أن دخل الأسرة يكفيها، خاصة وأن زوجها يعطى دروساً لمجموعات من الطلاب. تملك حورية شهادات استثمار فى البنك، وكان لديها دفتر توفير واضطرت إلى سحب ما فيه. كما أن لديها حليها الذى تزوجت به وازافت إليه بعد ذلك، وتتمنى أن تحافظ عليه ولا تضطر إلى بيعه فى يوم من الأيام.

تهتم حورية بأن تعيش عيشة مستورة، لا يهملها أن تدخر نقوداً، وهى لم تعد قادرة على الادخار الآن بعد أن تنوعت مطالب الأولاد فى التعليم. تعودت الأسرة أن تجمع مرتب الزوج والزوجة، ويأخذ كل منهما مصروفه الشهرى وينفق المتبقى على المنزل : الطعام والشراب والإيجار والكهرباء وفواتير الموبايل والتليفون وبنزين السيارة وكتب وكراسات الأولاد، ودروسهم الخصوصية.

تعيش الأسرة على مبدأ صارم فى تقسيم النقود، فلو اشترى الشخص شيئاً يخصه هو يكون من مصروفه الشهرى؛ أما إذا كان دواءً فيكون من مصروف البيت. وحورية هى التى وضعت هذا المبدأ، وهى التى تطبقه، لأن كل النقود الخاصة بالأسرة (المكونة من جمع المرتبين كل أول شهر) تكون تحت تصرفها لأن «الرجل معندوش دماغ للكلام ده». وهى تدبر الأمر عندما تقرر شراء لوازم الأسرة - خاصة الملابس والأحذية ومستلزمات المدارس - من المحلات الأقل سعراً.

تخرج حورية فى رحلات مع المدرسة وتأخذ أولادها معها أحياناً، وتحرص على السفر إلى المصيف كل عام، وتقضى جزءاً من فراغها مع زوجها وأولادها فى المنزل وقد تخرج أحياناً لتناول الطعام خارج المنزل، ولا تستنكف من شراء طعام من خارج المنزل كنوع من التغيير .

تعتقد حورية أنها حققت كل ما تريده، وهي لا تريد شيئاً إلا أن ينجح الأولاد وتستطيع أن تحج وتعتنم وأن تبني بيتاً للأولاد، وربما تستطيع أن تحقق ذلك بعد أن يتم الأولاد تعليمهم.

ولذلك فهي تحرص على أن تضع كل قرش في موضعه الصحيح، فلو امتلكت نقوداً كثيرة فسوف تتجه نحو بناء البيت والحج والعمرة، «فإن تبقى الفلوس في جيبها أفضل من أن تبقى في جيب غيرها».

### (٣) «لو أبني عايز خلاص بلاش أنا»

تلخص هذه العبارة علاقة سعاد بالنقود، لا تفكر في نفسها قدر تفكيرها في أسرتها وابنها وهي في بداية مشوار الحياة الزوجية. تبلغ من العمر ٢٢ عاماً ، عاملة في مصنع نسيج، وتتقاضى أجراً في حدود ٣٥٠ جنيهاً شهرياً، تزوجت حديثاً من زميل لها في نفس المصنع يتقاضى نفس أجرها تقريباً. كل ما تملكه هو هذا الدخل الشهري وما ورثته عن أبيها أنفقته على زواجها. لا تدخر شيئاً من دخلها، فهو يكفي بالكاد مع دخل زوجها، وتحمد الله أنها لا تمد يدها للاقتراض من الآخرين. وتتمنى أن يكون لها وليس عليها، اضطرت لبيع حليها بعد الزواج مباشرة لكي تستطيع أن تشتري جهاز تلفزيون. في أول كل شهر تعطي راتبها لزوجها، وهي تبرر ذلك على النحو التالي «عشان يكون هو المسئول وهو الرجل برضه» وهو يقوم بإعطائها المصروف الأسبوعي الذي يغطي حاجات المنزل، وحاجة الطفل الوليد من اللبن، ويعطيها كل يوم فلوس المواصلات ومصروف الجيب. ويدفع هو الإيجار الشهري للشقة وتكاليف الكهرباء ، وقليلاً من النقود لابنه ويغطي تكاليف السجائر. ويغطي مرتب الزوج والزوجة هذه البنود بالكاد.

ولا تستطيع سعاد أن تشتري كل ما تحتاجه، أو كل ما في نفسها أن تشتريه، وتؤكد أن «فيه حاجة أهم من حاجة، يعنى لو ابني عايز خلاص بلاش أنا». لا تشتري سعاد لنفسها أو لزوجها أشياء تذكر، زوجها لا يريد إلا سجائره، وفي حالة الضرورة تشتري الملابس من الأسواق الرخيصة في الجيزة أو الموسيقى أو العتبة. تحلم بأن يكون لديها شقة أوسع لوحدها مش مع أهل جوزها. وجهاز أفضل وأجهزة كهربائية أفضل، وتحلم بشراء ذهب مثل أى امرأة، ولكن هذا الحلم يظل بعيد المنال طالما أنها «تحسب كل حاجة بالورقة والقلم». لا تجمل سعاد خارج

المنزل لأن زوجها محرم عليها «الكلام ده» فى الشارع، ولكنها تتجمل أحيانا فى المنزل بأشياء تشتريها من محلات ٢,٥ جنيهه(\*) .

كانت سعاد تذهب إلى رحلات قبل الزواج مع زملاء العمل، ولكنها لا تستطيع الآن، وهى تقضى وقت فراغها فى المنزل وتكتفى بزيارة والديها وحماتها وأهل زوجها، لم تخرج لقضاء أى وقت خارج المنزل إلا مرة واحدة بعد الزواج مباشرة حيث تناولت طعام الغداء مع زوجها فى أحد المطاعم، تتمنى لو أن لها نقوداً مستقلة تنفق منها على نفسها، وتتمنى أيضا لو أدخرت منها شيئا، ولكنها لا تستطيع.

#### (٤) «فلوس كثيرة قوى أنا اللي أحركها مش هى اللي تحركنى»

سيدة : تبلغ سيدة من العمر ثلاثين عاماً، حاصلة على دبلوم تجارة، تعمل بائعة فى محل ملابس جاهزة تعمل فيه منذ عشر سنوات، متزوجة من عامل نقاش، ولديها ولدان. يبلغ دخل سيدة الشهرى ستمائة جنيه، أما دخل زوجها فغير منتظم «يكثر فى الصيف ويقل فى الشتاء»، ويتراوح بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ جنيه شهريا فى وقت ذروة العمل. لا تعرف سيدة طريق البنك، أو البريد، ولا تقتنى ذهباً إلا خاتم اشترته لها اختها. تدير سيدة أمور بيتها شهراً بشهر، وتدخر من جمعية إذا ما احتاجت إلى شراء شئ أكثر تكلفة. والمرتب يكفى الشهر بالكاد، ولا يعطيها زوجها نقوداً مما يكسب إلا إذا سألته لشراء أشياء له أو للأولاد(\*\*). وهى تأخذ معظم حاجاتها من المحل الذى تعمل فيه بتخفيض كبير. تشتري هى أغراضها الشخصية من نقودها الخاصة. «أنا بصرف على قد الفلوس اللي معايا، الفلوس هى اللي بتحركنى مش أنا اللي بحركها، لما يكون معايا فلوس كثيرة قوى أنا اللي احركها مش هى اللي تحركنى، الفلوس هى اللي تقولى اشترى ايه وما اشترى ايه». ليس هناك وقت كثير للترويح لدى سيدة، فهى تخرج إلى زيارة أهلها، وفى بعض الأحيان تذهب مع زوجها وأولادها إلى حديقة الحيوان أو السينما. لا تدخر سيدة شيئا للأزمات، وتؤكد أن الحياة كلها أزمة «يعنى الواحد لما يعدى عليه يوم كويس يقول الحمد لله عقبال اللي بعده». وتتمنى لو أنها تملك أموالا كثيرة تحركها هى بنفسها، ساعتها سوف تبني عمارة وتفتح مشروعاً خاصاً (محل ملابس).

(\*) المحلات التى تباع كل شئ بجنيهان ونصف.

(\*\*) وهو يدفع اجار الشقة ٣٠٠ جنيه فى الشهر.

## (٥) «قرشك هو حياتك»

الحاجة سناء : تبلغ الحاجة سناء من العمر أربعين عاماً، تزوجت من أستاذ جامعي وأنجبت منه ثلاثة أبناء وبنت، لم يستمر الزواج لأنها تطلقت، واستقالت من مهنتها (مدرسة لغة عربية) لتدير حضانة للأطفال تملكها. تتصرف فيما يعود عليها من مشروعها الخاص باستقلال تام فتنفق جزءاً منه في المنزل لأن ما يدفعه الأب شهرياً لا يكفي الا مصروف الأولاد ومدارسهم وتدخر الباقي في البنك. أسست مشروعها من نقود وفرتها من إعارة سابقة إلى الخليج، وهي تدخر كل ما يفيض عن حاجتها. تحرص دائماً على تزويد رصيدها في البنك، وتفتح حساب توفير لكل أولادها وبنتها. تملك مجوهرات كثيرة، وهي تزيدها ما بين حين وآخر، وتعود ابنتها على أن يكون لها مجوهراتها الخاصة.

تعتقد الحاجة سناء أنه في الوقت الذي نعيش فيه يكون «قرشك هو صاحبك والإنسان من غير فلوس ملوش لازمة، وأنا لو مش عامله حسابي كان زماننا مدينا ايدينا لابوهم ومكنش هيدينا لأنه عنده بيت تاني وعيال ثانية، والحمد لله ربنا رزقني بصيرة وعرفت اتصرف»

تشعر الحاجة سناء أنها تنفق النقود كالبحر، والبحر دائماً يحب الزيادة. هي لا تدفع أيجاراً للشقة لأنها تملك وكذلك الحضانة، ولكنها تحرص على ألا ينقص البيت اى شئ كما تغطي كل حاجات الأولاد في المدارس، وتدفع لهم للرحلات وتستقبل أهلها كضيوف في منزلها، وتدير الحضانة فتدفع للموظفات والعاملات أجورهن، وتحصل مصاريف الحضانة من أولياء الأمور بنفسها. تشعر دائماً أن ثمة علاقة بين إدارتها للحضانة وأداتها للمنزل، «فعين هنا وعين هناك» إدارة شئون الأولاد وتلبية حاجاتهم كلها غير منقوصة، وإدارة شئون الحضانة.

وهي تشتري لنفسها كل ما ترغب فيه، وتؤكد على أن المرأة لو «عندها دخل خاص بيها أكيد تعرف تشتري كل اللي في نفسها، إنما لو ست بيت هتنتظر الحسنة من جوزها أو أنه يمنّ عليها أنها تشتري حاجة ... أنا لو نفسى في حاجة اجيبها حتى لو ثمنها ايه»

ليس للحاجة سناء أمنيات شخصية فقد حققت الكثير، وهي تكتفى بأن تلبس عبايات وطُرح ولا تسرف كثيراً في شراء أدوات التجميل، وأن اشترت فالذهب فقط. هي لا تمتلك وقتاً للترويح عن النفس، ولا تخرج إلا إذا كان عيد أو عيد الميلاد

للأولاد (تحرص أحياناً على عمله في المنزل أو في محل ماكدونالدز أو في رحلات الحضانة التي تحرص أن تأخذ أولادها معها ولكنها لا تنسى أن تتمنى أن يكون لديها أتوبيس خاص تستطيع أن تشغله لنقل الأطفال إلى الحضانة فتأتي بدخل آخر للأسرة. فالأمنية الأكبر للحاجة سناء أن يكون عندها «أساس مادي قوى ويكون كل شويه في زيادة وعمري ما اخذ منه».

## (٦) «لو جوزي ماتطلعش جدد معايا»

صباح : تبلغ صباح من العمر ٤٥ عاماً، تقرأ وتكتب، متزوجة من صاحب محل سباكة، ولديها ثلاثة أولاد وبنتان . تسكن صباح في مسكن أسرة الزوج (في أسرة شبه ممتدة) وتعمل عاملة بمركز طبي حكومي. التحقت صباح بهذا العمل منذ أربعة سنوات فقط وهي تتقاضى منه مبلغاً يصل إلى ٣٠٠ جنيه شهرياً بجانب بعض البقشيش الذي تحصل عليه من الأطباء أو المرضى. كما أن زوجها أصبح يملك هذا المحل بعد سنوات طويلة من العمل في السباكة وهي تقول: «أنه بيكسب شهرياً ما بين ٥٠٠ إلى ٧٠٠ جنيه. لم ترث صباح من أهلها شيئاً، كما لم يرث زوجها أيضاً فلم يترك لهما أهلها غير «السيرة الطيبة». يعمل ابنها الكبير في الأجازة الصيفية لكي يدبر مصاريف دراسته، وهو يخفف عن الأسرة بعض الشيء من تكاليف الحياة. تنفق صباح نقودها الشهرية في المنزل، وهي تنظم ميزانية المنزل مع زوجها الذي يتولى إدارتها فهو يأخذ كل النقود منها وهي تبرر ذلك بالقول «هو اللي عايز كده.. مقدرش أقوله لا» وهو يعطيها مصروفها الشهري، ويعطيها مبلغاً من المال كل أسبوع لتقضى منه لوازم المنزل من الطعام والشراب.. الخ.

تقول صباح «ربنا وحده هو اللي يبسهلها من عنده، أحنا ما بنشترش حاجات زيادة إلا العيش أو أى حاجة هناكها في الفطار أو الغداء، ومصاريف النظافة ، لو هانروح نزور حد يكون في ايدينا شوية فاكهة أو طبق حلويات وبندفع الكهربي وفلوس الزبالة، ولو في حاجة انكسرت في البيت، وعايزة تتصلح، ولاني مشغولة جدا في الشغل كل واحد من العيال هو اللي بيروح يشتري حاجاته من الموسكى أو الوكالة أو السيدة زينب، وأنا لا اشتري لنفسى أى شىء. العيال هم اللي بيشتروا في العيد (طبعا عيد الأم) جلباية أو عباية، الست اللي ربنا فاتح عليها وعلى جوزها هي اللي بتعرف تشتري كل حاجة، إنما اللي زينا مش كل اللي نفسها فيه تقدر تشتريه،

والحمد لله ربنا بيارك لنا فى الرزق. الواحد بيلاقيها كده وسعت من مفيش وساعات بتضيق أوى لكن هأعمل ايه الواحد لازم يحاول يمشى أمور عيشته»

لا تتمنى صباح من الحياة إلا أن يكون لها منزل مستقل. ولن تحقق من عملها الذى التحقت به منذ أربع سنوات أحلاما كثيرة إلا بعض المساعدة فى حياة الأسرة وشراء مرواحة للعيال كان نفسها تشتريها من زمان. ولم تفكر فى حياتها إن تشتري ذهباً، وكل أملها فى المستقبل أن تساعد أولادها على الزواج، خاصة البنات منهم، كما أنها لا تفكر أبداً فى التزين بل إنها تعتبر التزين فى هذه السن من العيوب الكبيرة «لأن العيال كبرت». لا تخرج صباح كثيراً للفسحة فهى لا تمتلك وقتاً لذلك ولم تذهب إلى المصيف إلا مرة واحدة فى حياتها ورغم ذلك فإن صباح على وعى بأن يكون لها نقود خاصة بها «قرش بتصرف منه»، وتعرف أهمية ذلك جيداً فى حالة حدوث مكروه للزوج او فى حالة أن الزوج «مطلعش جدد معها». فهى تستطيع فى الحالة ده أن تعيش مع عيالها من غير ما تضطر أنها تتجاوز تانى.

### (٧) «رضاي من رضا ولادى»

أم مريان: أم مريان تبلغ من العمر ٤٥ عاماً، حاصلة على دبلوم تجارة، صاحبة محل كوافير سيدات، متزوجة من سائق سيارة تاكسى، ولها ولدان وبنتان. تعلمت مهنة تصفيف شعر النساء منذ نعومة أظافرها حيث كانت تعمل مع والدها الذى كان يمتن المهنة نفسها، وتقول إن زوجها فتح لها محلاً، ثم استطاعت هى أن تفتح محلاً آخر، أصبح لها الآن محلان تدير أحدهما هى وابنتها، وتشرف على الآخر عن بعد. تقول إنها تكسب حوالى ١٠٠٠ جنيه شهرياً، وأن دخلها أكبر من دخل زوجها حيث لا يزيد دخل زوجها عن ٥٠٠ جنيه شهرياً.

تعتنى أم مريان بأولادها، وتدّخر من أجلهم، فهى تحرص على أن يكون لكل من أولادها دفتر توفير. هى بالفعل نفذت ذلك لابنها الأكبر وابنتها الكبرى التى تساعدها فى عمل الكوافير، كما تحرص على أن تشتري لبناتها ذهباً كلما اتاحت الفرصة.

لا تمتلك أم مريان وقتاً كثيراً تنفقه فى شراء الاشياء، هى التى تدير كل شئ، لا تأخذ من زوجها نقوداً، وهو ينفق ما يكسبه على السجائر أو الملابس ومصروف الجيب. أما انفاق الأسرة برمته فيؤخذ من إيراد المحل، ولأنها لا تملك وقتاً فإنها



تعتمد كثيراً على ابنتها الكبرى التي تدرس في السنة الأخيرة في دبلوم التجارة، فهي تساعدنا في المحل، وتتكفل بشراء حاجات اخوتها، فضلاً عن المساعدة في شراء حاجات المنزل من الطعام، وتضيف أم مريان «أنا أهم حاجة عندي عيالي، والست اللي عندها عيال تقول دائماً هم احق مني، ولازم تحط كل همها في عيالها، يعني رضاها من رضا عيالها، وإن كل حاجة يحتاجوها يلاقوها وما يحتاجوش لحد».

ورغم ذلك فإن أم مريان لا تملك وقتاً كثيراً للفسح أو الزيارات الخاصة وإن كانت تهتم بالذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد. تحرص على أن يكون لها نقودها الخاصة، هي تعودت ذلك منذ الصغر، وهي تحرص على أن يكون لها راتب شهري، وتدخر منه جزءاً لأولادها ولنفسها، وهي تعتقد أن الفلوس «سند في الزمن ده ولازم الواحد يتحوط بها»، وهي تمكّن المرأة من أن تبني نفسها، «وما تجعّش الناس يضحكوا عليها».

#### (٨) «صبر نفسي على ولا صبر الجزار»

أم عبده : تبلغ أم عبده من العمر ٤٤ عاماً، وتعمل مساعدة مشرفة في حضانة خاصة، وهي متزوجة من زوج على المعاش ولديها أربع بنات (ومن هنا أخذت هذه الكنية لأنها لم تنجب ذكورا) تحصل أم عبده على ٣٠٠ جنيه مرتباً شهرياً ويحصل زوجها على ٦٠٠ جنيه من معاشه، ولا تملك الأسرة أى دخل آخر غير هذا الدخل. تنفق أم عبده جزءاً كبيراً من نقودها على الأسرة وهي تقدر مصاريف الشهر بـ ٣٠٠ جنيه تنفق على الإيجار والغاز والطعام والمواصلات، ومصاريف المدارس، وعلاج ابنتها الكبرى.

وتؤكد أم عبده أن زوجها ليس له أى طلبات سوى سجائره، وقطعة من القماش من حين إلى آخر. وتترك أم عبده بناتها يشتري احتياجاتهن لأنفسهن من مصروفهن أو من نقود يأخذنها من أبيهن ويلاحظ في هذه الأسرة أن الانفاق الشهري قليل لأن الأسرة تحضر من القرية كل شهر بعض المواد كالكخبز والبيض والجبين والخضروات الطازجة والجافة، فثمة دعم للأسرة من أقاربهم في القرية. وتنشغل أم عبده كثيراً بالمستقبل، فقد سعت إلى العمل لضمان دخل لنفسها مستقل عن دخل زوجها، وعندما توفر لها دخل فتحت لنفسها حساب توفير (دفتر توفير) تضع فيه ما تستطيع أن تدخره شهرياً من مرتبها خاصة الاكراميات التي تقدم لها

من أولياء الأمور. تقول أم عبده «كل حاجة تفيض منى أروح على طول أشلها... أصل مفيش حاجة مضمونه اليومين دول، أنا دلوقتي فى صحة يا عالم بعدين ها قدر والللا لا، وبعدين علاج البنت الكبيرة بتأخذ حقنة كل سنة ولازم تاخذها علشان معندهاش مناعة، وساعات بدخل جمعيات وأنا اللي بامسكها وبنعملها فى الحضانة مع المدرسات والستات العاملات، وده كله علشان تبقى معايا فلوس اعرف اعيش واحوش منها، ولما اعوزها الاقيها مفيش حد اليومين دول بيدي لحد جنبه حاجة يعنى اطلعي دلوقتي وقولى أنى مزنوقة والله ما حدش يعطيكى جنيه، ولو ادالك هايكون مستنى تردها امتى، الواحد أحسن يصبر على نفسه «صبر نفسى على ولا صبر الجزار» ورغم ذلك فإن أم عبده ترى أن لا فرق بين نقودها ونقود زوجها «فالجيب واحد» ولا تستنكف أبداً أن تنفق مدخرتها على زوجها، كما حدث من قبل حين باعت الأسورة الوحيدة التى تمتلكها عندما كان فى أزمة.

تشتري أم عبده كل حاجتها الشخصية من نقودها وهى أشياء بسيطة تنحصر ما بين الجلابية والشبشب والشال والطرحه. وهى تنظر إلى النقود على أنها مثل المياه «سبحان الله ما تعرفش تمسكها نهائى». ومن أمنياتها أن يكون لها قطعة أرض فى البلد (القرية) وأن تسكن فى مكان واسع، وأن تغير مواسير الحمام والمطبخ لأن الجيران فى شكوى دائمة من هذا الأمر وهى لا تستطيع القيام بإصلاحها. ولا تطلب أم عبده من الدنيا إلا الستر «الستر الواحد مش عايز غيره.. أن يفضل مستور وربنا ما يحوجنا لحد أبداً وطول ما الواحد ما بابى مقفول على أكل أنا والعيال بملح المهم ما حدش يطلببنى بحاجة على»

لم تذهب أم عبده إلى أى مكان أبعد من قريتها التى تزورها من حين إلى آخر، وهى تستغرب عندما نسألها عن الخروج إلى أى صورة من صور الترويح عن النفس من سينما أو مطاعم أو مصاريف.. الخ. فكل إطلالها على العالم الخارجى رحلة إلى القرية فى كل أول شهر لاحضار متطلبات المنزل.

## (٩) «نفسى فى حاجات كثيرة بس مش طايلة»

أم سيد : أم سيد سيدة أرملة تبلغ من العمر ٥٥ سنة ، وتعمل عاملة فى إحدى المؤسسات الحكومية، وتتقاضى راتباً مقداره ٥٠٠ جنيه شهرياً. تزوجت من عامل معمارى توفى وترك لها ابناً، يعمل الآن موظفاً بالحكومة وابنة ما تزال فى كنفها ،

وتتحكم ام سيد فى كل النقود التى تحصل عليها من عملها، وهى تنفقها على نفسها، وما يتبقى منها تنفقه لتساعد ابنها المتزوج الذى لا يكفيه دخله للانفاق على أسرته وعلى ابنه المريض. وتجهز ابنتها للزواج كما تساعدها أيضاً فى التعليم حتى حصلت هذه الأبنة على الشهادة المتوسطة وتكمل دراستها الجامعية بالتعليم المفتوح.

تعانى أم سيد من بعض الأمراض وتضطر إلى عمل علاج طبيعى كما أجرت عمليتين جراحيتين من قبل، ولذلك فهى تشعر أن عليها عبئاً مالياً كبيراً فهى تحمل هم ابنها المتزوج ذى الدخل الصغير، كما تحمل هم ابنتها التى تستعد للزواج وتكمل تعليمها، إلى جانب هم مشكلاتها الصحية. تحاول أم سيد جاهدة أن تدبر أمور حياتها عبر كل هذه المسؤوليات فهى تقسم دخلها على الطعام الذى قد يشارك فيه الأولاد والأحفاد أيضاً، وعلى شراء الدواء، ومساعدة الأولاد.

تدير أم سيد كل شئونها بنفسها، لا يساعدها أحد بل أنها تدير شئون أولادها أيضاً فهى لا تعتبر أن ما تحصل عليه من دخل يجب أن يكون لها وحدها بل هو دخل مشاع لكل أفراد الأسرة، وهى تقوم بدورها بدرجة تعكس قدراً كبيراً من الحب والكرم (يتضح ذلك من حديثها عن نوعية الأطعمة التى تعدها لأولادها واحفادها عندما يزورونها هم وزوجاتهم) .

فى ضوء هذه المسؤوليات تشعر أم سيد شعوراً عميقاً بالحرمان وهذه كلماتها: «نفسى فى حاجات كثيرة بس مش طايله وأنا عندى أراضى بنتى اليتيمة عنى وعن أى حاجة تانية، حتى ابنى اللى متجوز لو نفسه فى حاجة اجيبهله، ولو نفسى اجيب حاجة مبقدرش اجبها... نفسى فى كيلو زبده.. نفسى أكل كنافه.. والحاجة غالية، أحنا فى رمضان مدخلش الكنافه ولا القطايف وباشترى عرق سوس افطر بيه، احنا ما نقدرش على الفشخرة الفاضية»

وتعكس كلمات ام سيد أمانيتها أيضاً «نفسى أجيب أوضة نوم حلوه بدل الدولاب المكسر بقى له ٢٠ سنة... نفسى أجيب دولاب دلفتين، كل ما اروح أسأل عليه يقولى ب ٧٠٠ جنيه .. نفسى اشترى غسالة حلوة.. الغسالة رجليها انكسرت وباغسل عليها بالعافية، يمكن ربنا يقدرنى اجيبهم بالتقسيط زى ما جبت بوتجاز أربع عيون دفعت له ٢٥٠ مقدم وكل شهر ٦٠ جنيه... ونفسى كمان اجيب حلق ذهب لبنتى»

ولذلك فإن ام سيد لا تعرف طعاماً ولا لوناً للترويح عن النفس الا كما تقول كلماتها: «اقعد اصلى وأسبح ولو فى مسلسل فى التلفزيون حلو اقعد اشوفه».

### (١٠) «اللى بيدهولى جوزى بأصرف بيه نفسى»

حمدية : تبلغ حمدية من العمر ٥٦ سنة، وتعمل فى أشغال الأبرة والتطريز وهى تؤدى هذه الأعمال لأحد المحلات المتخصصة فى تطريز العبايات والجلباب. وهى تؤدى عملها إما فى المنزل أو فى المحل. حمدية لا تقرأ ولا تكتب (امية) متزوجة من ميكانيكي سيارات على المعاش ومنجبة لأربعة أبناء (٣ بنات وولد)، حصل أولادها على دبلومات متوسطة كما زوجت حمدية إحدى بناتها .

تكسب حمدية من عملها حوالى ٢٠٠ جنيه شهريا وتقول إنها «تدبر بها حالها وبتصرف بها أمورها»... مواصلات - مجاملات - تسديد ديون» وتدخر ما تبقى من هذه النقود تحسبا لأى ظروف. أما المسئول عن ميزانية الأسرة فهو الزوج وهو يعطى زوجته مصروف المنزل يوما بيوم وهى لا تناقشه فيما يعطيه لها فمرة يعطيها ٥٠ جنيه ومرة أخرى ٢٠ جنيه ومرة ثالثة لا يعطيها شيئاً، ويساعد الأبناء فى بعض المصروفات كأن يحضر أحدهما وجبة جاهزة لعشاء الأسرة، أو تدخل الأبنة التى تعمل فى جمعية لشراء أحد الأجهزة الكهربائية للأسرة، أو أن تشتري الأبنة الأخرى شيئاً بالتقسيط وتقوم بسداده من دخلها. ويساهم البناتان فى ميزانية الأسرة أكثر من الابن حيث تقول الأم «الابن يحتاج اللى يساعده علشان عايز يتجوز»، كما تؤكد أن الابنة الصغرى التى تعمل فى أحد محلات تصفيف الشعر هى التى تأتي إليهم بالأكل الجاهز أو تسدد أقساطاً، بل أن البنات قد تساعدان اخاهم، وتقوم حمدية بشراء جميع متطلبات الأسرة بمساعدة البنات، كما تقوم بشراء احتياجات الزوج وهو الذى يقوم بدفع ثمن هذه الحاجات.

وتشتري الزوجة حاجاتها الشخصية من دخلها الخاص، أو بمساعدة إحدى بناتها، ورغم أنها تقول إنها تشتري كل ما فى نفسها وأنها تدخر جزءاً من دخلها إلا أنها تمنى لو غيرت شقتها لتسكن فى مكان بعيد عن هذه المنطقة الشعبية، كما تمنى لو أنها غيرت حجرة نومها. وهى تفضل أن تدخر بعض النقود لتشتري بها بعض الحلى أو تضعها فى دفتر التوفير مثلاً، وليس لحمدية أى ميزانية لقضاء وقت الفراغ فى الترفية. فكل وقتها تقضيه مع جيرانها وهى تذكر أنها طوال حياتها لم

تسافر الا فى رحلتين من خلال جمعية خيرية بالمنطقة احدهما إلى الفيوم والاخرى إلى أسوان.

ولا تقتصر أحلام حمدية المستقبلية على تغيير شقتها فقط إنما تمتد إلى آمنيات خاصة بزواج ابنائها، فهي تربط آمياتها حول تغيير الشقة بزواج الابن الذى يمكن أن يسكن معهم فى الشقة نفسها لو كانت أوسع.

### (١١) «أنا بحاول ما أحرمش نفسى من حاجة»

أمينة : تبلغ أمينة من العمر ٣٥ سنة، وحاصلة على مؤهل متوسط، وتعمل أمينة مشرفة على معمل كومبيوتر باحدى المدارس الحكومية وتتقاضى عن هذا العمل مرتباً شهرياً مقداره ٣٠٠ جنيه. وأمينة متزوجة من موظف ذى مؤهل متوسط ويعمل بالشئون الإدارية باحدى المستشفيات الحكومية، كما يحاول زوجها لزيادة دخل الأسرة العمل بإحدى العيادات الخاصة فى الفترة المسائية كمشرف على هذه العيادة. ولأمينة من الأبناء ثلاثة (ولد وابنتان) . الولد هو أكبر الأبناء وهو طالب فى التعليم الثانوى العام اما الابنتان فما زالتا فى المراحل المبكرة من التعليم.

تنفق أمينة مرتبها كله على حاجاتها الشخصية وعلى بعض احتياجات الأسرة حيث تقول «مرتبى كله بيتصرف فى حاجات خاصة بى وبالأولاد، يعنى بدفع منه جمعيات وأقساط وباشتري منه لبس ولو عجزت معايا قوى ممكن أكمل من جوزى علشان أنا باصرف كل مرتبى فى البيت بس مش على الأكل والشرب»

وتؤكد أمينة أن زوجها هو المسئول الأول عن الانفاق على الأسرة فهو الذى يقوم بشراء احتياجات المنزل من الأكل والشرب يومياً، وممكن أن يعطينى نقود يوم بيوم لشراء متطلبات المنزل. وتعد مصاريف الأكل والشرب أهم حاجة بتتصرف فيها الفلوس ويوليها مصاريف الدروس الخصوصية. وترى أمينة أن أكثر مشكلة تعانى منها هى مصاريف الدروس الخصوصية حيث تقول «مصاريف الدروس الخصوصية هى مشكلتى الكبيرة علشان كده باحاول أدبرها طول الشهر لأنى ما اقدرش أطلبها من جوزى مرة واحدة فباخذ منه لما يكون معاه فلوس يعنى عشرة جنيه فى عشرين جنيه واشيلهم على جنب للدروس». وإلى جانب مشكلة الدروس الخصوصية هناك مشكلة أخرى لدى أمينة وهى حب الشراء والتسوق الزائد عن الحد فتقول: «أنا باحب الشوبنج حتى لو فى الاكل وده بيورطنى فى ديون كثيرة،

يعنى ممكن أكون فى محل ويعجبني حاجة وأنا معايش فلوس استلف من صحابى واشترتها، وابقى اسدد بعدين، ممكن ده يبقى فى حاجات مهمة ومحتاجها وساعات بيبقى فى حاجات هايفة زى الاكسسورات أو المكياج - وأنا باعتبار نفسى باشتري كل اللى نفسي فيه ، فانا باحاول محرمش نفسى ولا ولادى من حاجة عشان كده مش ممكن أقدر احوش».

وعلى الرغم من ضيق ذات اليد إلا أن أمينة تحاول باستمرار الترفيه عن نفسها وعن أبنائها حيث تأخذ الأبناء إلى النادى أو فى فسحة، وأحيانا تذهب بهم إلى مطاعم الأكل الجاهز القريبة من المنزل.

تدبر أمينة حياتها من خلال الاستلاف من الأصدقاء والأقارب، ومن خلال الأقساط والجمعيات الشهرية، وتؤكد أن أهم انجاز حققته فى حياتها هو شراء الشقة التمليك (من نقود زوجها والباقي تم استلافه) وليس لديها أى طموحات مادية فى المستقبل سوى أن يكون لديها فلوس من أجل تجهيز الشقة بطريقة أفضل، فتقول «أهم حاجة يبقى معايا فلوس علشان اوضب شقتى..أعمل سقف معلق، وأرضية خشب، وأجيب انتريه جديد... وبعدين أبقى أجوز أبنى.. فانا نفسى فى حاجات كثيرة بس مش قادرة... وأنا عايشه يومى كده يوم بيوم ميفكرش فى حاجة».

## ١٢) «أعيش مستورة وأموت مستورة»

أم عبدالله : أم عبد الله عاملة فى مصلحة حكومة، متزوجة من عامل فى المكان نفسه، تبلغ من العمر ٤٥ عاما، ولها من زوجها ثلاثة أولاد فى مراحل التعليم المختلفة ومن زوج سابق ابنة أكملت الشهادة المتوسطة. تتقاضى أم عبدالله من عملها حوالى ٤٠٠ جنية، ومثلها لزوجها، وهى تؤكد أنها هى التى تمسك كل الأمور المادية فى المنزل «مرتبى ومرتب جوزى بحطهم على بعض ونعيش منهم».

تحاول أم عبد الله أن تتعامل مع ما تملكه من نقود بحرص شديد، فالنقود تكفى مصاريف البيت بالكاد، وهى لا تستطيع أن تشتري من الطعام كل ما تريد، لأنها تحاول أن تدخر شيئا لتجهيز ابنتها (التي تنهى دبلوم التجارة والتي تمت خطبتها هذا العام). تشتري أم عبدالله حاجات ابنتها بأقساط شهرية، بحيث لا يتعدى القسط عشرين جنيها، تحكى أم عبدالله عن كفاحها فى تحقيق استقامة حياة

الأسرة. «كان معايا ذهب بعته علشان أدفع للشقة اللي احنا ساكنين فيها ٥٠٠٠ جنيه، ما بقاش معايا إلا حلق ٥ جرام عشان لما أموت يدفنوني منه... المرتب يدوب بيكفى أدى للعيال مصروفهم أول الشهر، والراجل يأخذ ثمن سجايره، والباقي اتصرف فيه حسب الظروف... فيه حاجات نفسى فيها كثيرة مقدرش أجيبها. الفاكهة الغالية زى المانجه مقدرش اشتريها... عمرى ما اتفسحت ولا خرجت الا احيانا نروح جنيئة الحيوانات... الخروج اللي زى دى بتكلف ٤٠ جنيه على الأقل...»

لا تدخر أم عبدالله أية نقود لنفسها، ولكنها تفر أنها «تشيل حوالى ٢٠ جنيه أو ٣٠ جنيه لنفسها. أقدر أعمل بيها واجب مع واحدة موجبانى (لها عندى واجب) فى حالة ولاده أو مرض». أهم شئ فى حياة أم عبدالله أن «الأمر تمشى وتقدر تعيش مستورة من غير ما تستدين من مخلوق... وتعيش وتموت مستورة... عشان كده شايلة الخاتم الخمسة جرام يكفونى بيه».

### ١٣) «الست لو مستورة هيكون لها وضعها»

ريم مدرسة لغة إنجليزية تبلغ من العمر ٤٥ عاماً، متزوجة من رجل لديه مشروع صناعة موبيليا صغير (فى ورشة صغيرة)، تعيش مع زوجها وأولادها (ولدين) فى شقة تملكه أسرة الزوج. علاقة ريم بالنقود لا تعود إلى أيام العمل والزواج، بل تعودت أن تدخر وهى صغيرة حيث كان والدها يعطيها بعض الأموال (وإن كانت قليلة) لكى تدخرها لنفسها فى صندوق توفير، استنفذته فى زواجها.

يبلغ دخل ريم الشهرى حوالى ١٠٠٠ جنيه من مرتبها ومن الدروس الخصوصية التى تعطيها للطلبة فى المنزل، ويبلغ دخل زوجها أكثر من ٢٠٠٠ جنيه (من عمله فى المدرسة، بجانب عائد إيجار شقة تركها الوالد)، المشكلة الرئيسية فى حياة ريم أنها زوجة ثانية، فزوجها له أولاد من زوجة سابقة يأخذون جزءاً من دخله الشهرى.

لا تسأل ريم زوجها على أى شئ، فهو يعطيها «ما يخرج من ذمته» كل شهر، وغالباً ما يكون قليلاً، فى حدود ٣٠٠ جنيه، وهى التى تتكفل بكافة متطلبات الأسرة، وكذلك الإنفاق على الأولاد فى المدارس، وهى تشعر أن ذلك أمر طبيعى «فيه ستات كتير قوى زى كده فاتحه بيوت من دخلها الخاص يعنى أعرف ناس كتيرة كده

ويمكن يكون زوجها موجود بس مش شغال أو شغله مش مستمر فيه على طول أو بيصرف على عيال ثانية من زوجه ثانية..»

تنفق ريم على أسرتها من سعة، فالانفاق الذى تتحدث عنه قد يفوق دخلها (ربما لأنها لم تذكر دخلها من الدروس الخصوصية بشكل كامل)، فالأولاد فى مدارس خاصة، وهى تشتري للمنزل كل ما يحتاجه، وهم يذهبون إلى المصيف كل عام وقد تخرج الأسرة لبعض الترويح، تحتفظ بذهبها الذى اشتراه لها زوجها أيام الزواج، والدها قبل الزواج. كما تحرص أيضاً على أن يكون لها مدّخرات ، تعمل على زيادتها لا على إنقاصها لأن المدّخرات تعنى «أزمات الواحد يتحط فيها ووقتها يقدر يصرف على نفسه وما يحتجش لحد أبداً»

ورغم ذلك فإن ريم لها أمنية واحدة أن تستقل بشقة بعيداً عن حماها ومنزل عائلة زوجها، «لأن راحة الواحد فى بيته مش فى حاجة ثانية». وتؤكد ريم أنها سوف تسعى إلى ذلك، وهى تعي أن الإمكانيات المادية للمرأة تجعلها قوية إزاء زوجها «فألست لو مستورة هايكون لها وضعها مع جوزها وتقدر تتكلم معاه فى اللى ليها لأنها مش محتاجة ليه يصرف عليها».

#### ١٤ «النهاردة معاكى فلوس هتجيبى لحمه بكرة معايش تجيبى عدس»

رقية تبلغ من العمر ٥٠ عاماً، حاصلة على دبلوم تجارة، وتعمل فى مكتبة، متزوجة من زوج يعمل مديراً عاماً بأحد المحاكم، لها منه ثلاثة أولاد وبنت. يعمل اثنان من الأولاد فى وظائف (أمين شرطة + أعمال كتابية) بينما ما يزال الابن الأصغر والبنت الصغرى فى التعليم. تؤكد رقية أنها لا تعرف حدوداً لنقودها أو نقود زوجها، فلا أحد يقسم، «والأمور تسير بالبركة». يبلغ دخل الأسرة الشهرى أكثر من ١٠٠٠ جنيه، والزوجة هى التى تدير أمور الميزانية الأسرية، يأخذ الزوج ما يحتاجه من مرتبه ثم يعطيها الباقي فتنفق منه على طعام الأسرة، وتعليم الأولاد وتتكفل بشراء ملابس الأولاد والبنات، لا تتركهم يشترى بأنفسهم لأنهم يشترى من محلات غالية الأسعار مما يرهق ميزانية الأسرة.

تسير رقية حياة الأسرة وفقاً للظروف فإذا توفرت نقود كثيرة تنفق بسخاء، وأن ضاقت تغل يدها، ومن هنا تجعل الحياة تسير، ومن هنا كان قولها «الشعب المصرى بيمشى بالبركة، محدش بيعش كده، النهاردة معاكى فلوس هتجيبى لحمه،



بكره معاكيش تجيبى عدس». وبين العدس واللحمة تسير الحياة سيرتها دون مشكلات.

تهتم رقية اهتماماً شديداً بتجهيز ابنتها، وهى تشتري لها أغراضاً تحتاجها فى زواجها، رغم أنها لم تخطب بعد، ومعظم هذه الأغراض تشتري بنظام الأقساط الشهرية، وهى كلما سددت ثمن شئ تبدأ فى آخر، وتضع لذلك ميزانية شهرية لا تزيد بحال من الأحوال عن ٥٠ جنيهاً، لا تهتم رقية بشراء أشياء لنفسها، ولكنها تفكر بشكل دائم فى مستقبل أبنائها، تشاجرت مع الزوج كثيراً لأنها كانت تحته على شراء قطعة أرض لبناء منزل للأولاد عليها، ونجحت أخيراً فى هذا الصراع، واشترت الأرض بالتقسيط، ودفعت هى فيها حتى أنها سددت القسط الأخير وكان فى حدود ٢٠ ألف جنيه من بيع مصاغها ومن نقود اقترضتها من أختها. الأمل فى الحياة لدى رقية أن تبني لكل من أولادها وبناتها شقة على هذه الأرض. «وتهون الدنيا كلها فى مقابل هذا الهدف»، لا ترويح، ولا طعام وفير، ولا سعة من العيش، وكل شئ بيد الله هو الذى يسير الأمور «كل حاجة بتاعة ربنا ... والأعمار بتاعت ربنا.. وأنا أهم شئ ولادى... على الأقل يقولوا الله يرحمها عملت لنا حاجة».

### «البحر ييحب الزيادة» (١٥)

مايسة : تبلغ مايسة من العمر ٣١ سنة، وتعمل مدرسة بإحدى المدارس الابتدائية الحكومية، وهى متزوجة من محاسب بإحدى الشركات الخاصة، ولديها ابنة لم تدخل المدرسة بعد. تتقاضى مايسة مرتباً شهرياً حوالى ٤٠٠ جنيه بالإضافة إلى الحوافز والبدلات ومجموعات التقوية التى تقدمها بالمدرسة. ومكافأة الامتحانات التى تتقاضاها سنوياً. تضع مايسة جزءاً كبيراً من مرتبها وأى نقود أخرى تحصل عليها فى دفتر توفير فى البوستة إلى جانب رصيد فى البنك بثلاثة الاف جنيه والعائد منها تضعه على الأساس. أما مرتب زوجها فهو يصرف منه على البيت وبيحوش منه فى حسابه الخاص بالبنك بجانب دفتر توفير اقترحته عليه مايسة ليضع فيه لابنتها بعض النقود شهرياً.

تحب مايسة شيئين هما اقتناء الذهب «لأن الذهب كل ما يقعد يغلى»، والادخار بالبنك «لأن البنك بيحفظ الفلوس ويزودها علشان لما احتاج الفلوس الاقيها، والقرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود». وقد تعودت مايسة على الادخار من سن مبكرة

حيث وجدت أمها تقوم بهذا السلوك حيث تقول: «اللى عودتنى على كده أمى لأن طلعنا من غير أب فى وسطنا وكانت هى السند لينا من اللى كانت بتحوشه من مرتبها ومن مكافأة نهاية الخدمة فطلعنا كلنا على نفس المنوال عندنا بكره أهم بكثير من النهاردة لأنه مجهول والست لما يكون لها حساب كويس فى البنك هيكون عندها اللى يسترها من الأيام، واللى تلاقيه وقت ما تحتاجه».

تترك مايسة لزوجها حرية إدارة المنزل فميزانية المنزل هى فى الأساس مرتب زوجها بجانب جزء صغير من مرتبها تدفعه إذا احتاج البيت إليه، أما فى أغلب الأحوال فالزوج هو الذى ينفق على متطلبات المنزل وهذا بالاتفاق بينهما حيث تقول: «أنا وجوزى متفقين هو عليه مصاريف الأكل وخدمات البيت ومصاريف العلاج، وأنا عليّ مصاريف البنت من ناحية لبسها فى الصيف والشتاء أو فى المناسبات فكل حاجة خاصة ببنتى أنا اللى بدفع ثمنها من فلوسى الخاصة وكمان باجيب الحاجات الخاصة بيه زى اللبس أو البرفانات وكريمات الشعر كل الحاجات ده باجيبها من مرتبى ومش بأقدر أقول لجوزى عليها لأنى عارفه امكانياته وردة طبعاً هيقولى ما انتى بتشتغلي كفى نفسك بقى».

تصرف مايسة كل أمورها بمنتهى العقل، وتحاول أن تزن الأمور حتى لا تقع فى أى ورطة مادية، كما أنها لا تضع نقودها إلا فى الأشياء المفيدة من وجهة نظرها يعنى دفعت منها أول ما نزل حجز «ابنى بيتك» لأن ده مصلحة مشتركة بينا احنا الاثنين ولأولادنا طبعاً، أو فى شراء محل تملك أو شقة «لأن الحاجات ده كل يوم فى الطالع» وتؤكد مايسة على ضرورة أن يكون لدى المرأة رصيد وتحاول أن تنميه دائماً «لان البحر بيحب الزيادة»

## ١٦ «ربنا ما يحوج اليمين للشمال»

تعمل سعاد (تبلغ من العمر ثلاثين عاماً) ممرضة فى مركز طبى خاص، تزوجت من عامل فى القطاع الخاص وطلقت منه وهى تعيش الآن مع ابنتها الصغيرة. لا تملك سعاد إلا العائد من عملها، وهى تحاول أن تنظمه بأي شكل إلى درجة أنها تقوم بأدوار مختلفة فى المركز الطبى الذى تعمل فيه (المساعدة فى النظافة - أخذ ورديات ليلية - إعطاء حقن للزبائن .. الخ). تنفق سعاد كل ما تكسبه من نقود على طعامها وطعام ابنتها ودوائهما، يبلغ دخلها الشهرى حوالى ٥٠٠

جنيه، تقول إنها تكفيها بالكاد، بل أنها أحيانا تضطر إلى أخذ بعض الأغراض من منزل والدها، وقد يتكرر هذا السلوك شهريا.

لا تريد سعاد من الحياة شيئا إلا أن تحمى نفسها من الاستدانة . ولهذا فقد جاهدت لكي تعمل من بعد أن طلقها زوجها، ولكي تستطيع أن تسد حاجاتها بنفسها، ولا تمد يدها للغير حتى وإن كان والدها ، «ربنا ما يحوج اليمين للشمال». لذلك هي ترفض دعوة والدها لكي تترك شقتها وتأتى للإقامة معه. تترك سعاد أهمية العمل بالنسبة لها «لولا الشغل كان زمانى فى حوسه هو اللى مخلى معايا قرش أصرف منه على نفسى وعلى بنتى.. ابو البنت لا يدفع لها أى شئ الا عيديه يمكن على العيد وياه حاجة.. إنما غير كده أنا اللى قايمه بكل حاجة... ولولا الشغل كنت حُست». لا طموحات لدى سعاد، ولكنها تود لو أنها «تحتكم» على فلوس أكثر وفى هذه الحالة كانت «تقدر تشتري اللى نفسها فيه ويكون عندها شقة تمليك.. وتصرف براحتها.. مش بالمسطرة زى ما هى ماشية دلوقتى»..

### (١٧) «على قد لحافك مد رجليك»

سميرة : تبلغ سميرة من العمر ٤٥ سنة ، متزوجة من مدرس لغة عربية بإحدى المدارس الثانوية، ولديها طفلة وحيدة رضية، تعمل سميرة مدرسة كمبيوتر بمدرسة ثانوية.

تمتلك سميرة قدرات جيدة فى إدارة وتنظيم شئون أسرتها حيث يعطيها زوجها كل مرتبه (بعد أن يأخذ منه مصروفه الشهرى)، كما يدفع لها فلوساً أخرى تأتى إليه من خلال الدروس الخصوصية. وتقوم سميرة بتدبير شئون أسرتها من خلال دخل زوجها وراتبها الخاص «بيديني كل الفلوس اللى بتدخل له، مالهوش دعوه بعد كده بأى حاجة، يعنى مش مسئول لو الفلوس خلصت، أنا اللى باتصرف». تنفق سميرة معظم النقود على الأكل والشرب، وإيجار البيت، وفاتورة التلفون، والدكتور والعلاج، وتُدخر سميرة الجزء الباقى من خلال جمعيات تحرص دائماً على الدخول فيها «بازنق نفسى فى جمعية علشان غير كده مياقدرش احوش»، «والجمعيات ده بتكون عشان لو الواحد وقع فى زنقه وعلشان ادفع قسط الشقة التمليك اللى اشتريناها». كما تؤكد على أنها هى اللى تشتري كل شئ لها ولزوجها ولابنتها الصغيرة «أنا المسئولة عن كل حاجة، وأنا اللى بادفع كل حاجة».

وسميرة حريصة جدا فى إنفاق النقود فهى لا تشتري إلا الأشياء الضرورية والمهمة التى تحتاج إليها بشدة لدرجة أنها أصبحت لا تشتري شيئاً لنفسها على الإطلاق «مبقاش أجيب لنفسى حاجة خالص بأقول البيت أولى، وفى حاجات كتيرة ممكن تتأجل، والواحد لازم يمشى على قدمه «على قد لحافك مد رجلك». لا تتمنى سميرة من الحياة سوى شراء سيارة حتى ولو مستعملة «بس ده طبعا حلم مش حاسه أنه ها يتحقق» وتؤكد على أن أهم حاجة كانت تتمناها هى الإنجاب حيث تقول «بنتى هى أهم أمنية كانت عندى، ودى أكثر شئ صرفت عليه، والحمد لله ربنا رزقنى بيها، دى صرفت عليها كل اللى وراى واللى قدامى واستلفت كمان لحد ما جبتها عن طريق أطفال الأنايب»

## ١٨ «ولادى هما حياتى»

ولاء : تبلغ ولاء من العمر ٤١ سنة، وتعمل مدرسة بإحدى الجامعات الحكومية، وهى متزوجة من مهندس يعمل فى مشروع خاص به، لدى ولاء بنتان أحدهما فى الصف الأول بالجامعة والأخرى ما تزال فى المرحلة الابتدائية.

تتحمل ولاء معظم أعباء الانفاق على الأسرة بداية من الأكل والشرب حتى الانفاق على التعليم الخاص والدروس الخصوصية، ومرتب الشغالة، وفواتير التليفون، وتكاليف الفسح والأكل خارج المنزل، ولبس الأبناء، والمواصلات...الخ. تقضى ولاء معظم وقتها فى العمل فهى تعمل فى شغل خاص «باشغل فى بحوث كتيرة علشان أقدر أوفر فلوس كويسة أصرف منها على عيالى، لأن عيالى هما حياتى ولازم اخليهم يعيشوا كويس قوى». تزوجت ولاء منذ ١٨ عاما من شاب أدنى منها فى التعليم وذلك على حد قولها «قسمة ونصيب». ولكنها وقفت إلى جانبه حتى أنهى تعليمه الجامعى، كما أنها قدمت إليه كل ما تملكه من مدخرات ذهبية حتى يبيعه ويبدأ بها مشروعاً صغيراً يكون بداية لحياته المهنية، ولم تأخذ منه أى ورقة بهذا المبلغ وقد لامتها أمها على هذا التصرف لأن «الرجاله ملهمش أمان، وإلا فى إيدك أقرب من اللى فى جيبك واللى فى جيبك أقرب من اللى فى جيب الناس».

تنفق ولاء على المنزل مبلغاً كبيراً شهرياً حوالى ٣٠٠٠ جنيه تقريباً يدفع لها زوجها منها ٥٠٠ جنيه زاداها منذ عام إلى ٧٠٠ جنيه شهرياً. ولا تعرف ولاء الاذخار فهى تصرف بسخاء على الأشياء المهمة وغير المهمة «أنا باحب أجيب كل

حاجة ولادى عايزنها علشان ما يحسوش أنهم أقل من أى حد، وعلشان أنا مش هأعيش لهم على طول، ولو على أبوهم هياكلهم زلط». تتعرض ولاء إلى النقد الدائم من المحيطين بها (أمها وأخواتها) وذلك لطبيعة انفاقها للنقود فهم يرون أنها مسرفة جداً ودائماً ما يقولون لها «وحده غيرك فى المركز ده كان زمانها بقى عندها عربية أو شقة فى منطقة كويسة غير المنطقة الزبالة اللي انتى عايشه فيها، أو حتى شويه ذهب تتسندى عليهم فى الزمن ده». ولا ترى ولاء فى نفسها أنها مسرفة ولكنها تحب أن تعيش حياتها بشكل طبيعى وتجيب كل اللي هى عايزه. وترى أن الادخار ممكن أن يكون مفيداً لو كان هناك سعة من العيش. لا يوجد لدى ولاء أمنيات كثيرة غير أن يبارك لها الله فى بناتها وتحصل على «اللى نفسها فيه». وتشتري عربية وتنتقل إلى شقة فى منطقة أفضل، وسوف تعمل بجد لتحقيق هذه الأمنيات.

### «الجيب واحد» (١٩)

عبير : تبلغ عبير من العمر ٤٥ سنة، متزوجة من شيف حلوانى يعمل صباحا فى أندية القوات المسلحة، ومساءً فى أحد محلات الحلويات، ولدى عبير ولدان ما زالا فى المراحل المبكرة من التعليم. تعمل عبير اخصائية نفسية باحدى المدارس الحكومية وأصبحت الآن تعمل فى مجال التوجيه النفسى بالوزارة.

تنفق عبير على المنزل من دخلها الذى يقدر بحوالى ٧٠٠ جنيه ودخل زوجها حوالى ١٠٠٠ جنيه شهرياً، وتدبر عبير احتياجات المنزل بمهارة شديدة إلى جانب دخولها فى جمعيات لتسد منها النفقات السنوية مثل المصيف، ومصاريف المدارس. وتنفق عبير كل دخلها على المنزل برضا تام «أنا ليه بالفعل أموالى الخاصة فدخلى الشهرى لا ينازعى فيه أحد ولكن معظمه بيتصرف على البيت والأولاد بكامل ارادتى وبدون أن يفرض على زوجى كده، فسعادة البيت هى أهم حاجة فى حياتى، وكمان الجيب واحد». لدى عبير مدخرات قديمة قد وضعتها لها والدتها قبل الوفاة فى دفتر توفير بالبنك وتحرص عبير على الاحتفاظ بها «لأنها من العريزة الغالية»، وتحاول أن تنساها تماماً؛ وعلى الرغم من أهمية هذه المدخرات بالنسبة لها إلا أنها لم تتوان لحظة فى سحبها عندما احتاج إليها زوجها فتقول «احتاج زوجى فى مرة لفلوس علشان يعمل مشروع ومكنش معاه مبلغ يكفى فسحبت معظم أموالى

الخاصة علشان يكمل الفلوس، ومرة كان تعبان واحتاج عملية فورا فسحبت من الفلوس اللي كنت شيلها على جنب لوقت زنقة».

ليس لدى عبير طموحات مادية «ليس لى أى طموحات مادية كل ما اتمناه أن لا يكون هناك أى حرمان خاصة للأولاد فكل طموحاتى أن أوفر لهم احتياجاتهم وطلباتهم والحمد لله ده اتحقق، وأن كنت باتمنى أن أدخر لهم مبلغ بسيط للمستقبل يكون سند لهم، وده طبعا صعب جدا فى ظل الظروف الراهنة والغلا اللي احنا فيه فيادوب أحنا بنوفر حاجاتهم الأساسية بالعافية ومش عايزين نحسسهم أنهم ناقصهم شئ أو أنهم أقل من أى حد»

## ٢٠ «الضمير أساس البركة فى الفلوس»

حفصة : تبلغ من العمر ٤٠ سنة، متزوجة من طبيب أسنان يعمل فى أحد المستشفيات الحكومية، ولديه عيادة خاصة فى إحدى المناطق الشعبية، لدى حفصة من الأبناء أربعة ذكور ما زالوا فى مراحل التعليم المبكرة (مدارس خاصة). وتعمل حفصة طبيبة أسنان فى أحد المستشفيات العامة.

تنفق حفصة على الأسرة من دخلها ودخل زوجها «فلوسه وفلوسى واحدة، أنا بحط الفلوس كلها معايا، ولما بنحتاج حاجة بناخد من الفلوس دى ولكن طبعا فى أولويات». وتحدد حفصة أولويات الإنفاق فى الطعام والشراب ومصاريف المدارس الخاصة، وقسط الشقة التمليك والمصروفات اليومية المعتادة، وتؤكد على أن حاجات كثيرة جداً لا تستطيع أن تشتريها لنفسها «تقريبا مفيش حاجة بشترها لنفسى إلا إذا كنت محتاجها قوى، وده لأن الفلوس مش بتكفى حتى ولادى دلوقتى بمقدرش أجيب لهم كل حاجاتهم، يعنى مثلا ابنى الكبير السنة دى مجبتش له لبس مدرسة ولبسته لبس السنة اللي فاتت، وولادى السنة دى كلهم مجبتش لهم لبس عيد، هأعمل أيه».

تؤكد حفصة عدم حرصها على أن تكون لديها أموال خاصة بها فتقول «مفيش حاجة عندى اسمها أموالى الخاصة أنا شغلى كله للبيت وللأولاد، وفى مرة حاولت أن احتفظ بمرتبى، وقعدت كام شهر حوشته ووصل لمبلغ كويس، لكن معرفتش أحتفظ به، أول ما واجه جوزى مشكلة عند تجديد العربية واحتاجه فاخذه». وترى حفصة أن الرضا والبركة هى أساس السعادة داخل الأسرة «البركة أساس لازم

تكون موجودة، ورضا النفس والتعامل مع ربنا وتحكيم الضمير هو أساس وجود البركة فى الفلوس والصحة والأبناء».

تقضى حفصة وقت فراغها فى المنزل وأحياناً فى المسجد، ولا تمنى من الحياة شيئاً سوى أن يكون هناك فلوس لمستقبل الأولاد، «وأجيب لولادى حته أرض علشان بينوها، وأوفر لهم شقق وده لأنهم ولاد ول لازم يكون عندهم شقق، ولو ربنا أراد نعمل حجة أو عمره».

#### رابعاً : استخلاصات عامة

تقدم لنا اللوحات العشرون التى عرضناها فيما سبق صوراً مختلفة لعلاقة المرأة المصرية العاملة بالنقود، وقد عرضناها إزاء فرضية «فضاء القوة فى مقابل فضاء العيش». ونحاول الآن أن نقرأ هذه اللوحات لتجميع الخطوط المتفرقة فى إطار واحد، وفى ضوء المقدمات النظرية التى انطلقنا منها :

١. يمنح العمل المرأة فرصة للحصول على دخل خاص بها. ولاشك أن هذا الدخل يمنحها قدراً من القوة. وتتبدى هذه القوة فى المساهمة التى تقدمها المرأة فى ميزانية الأسرة. فجميع اللوحات التى عرضناها تشهد بأن المرأة تعمل من أجل أسرتها وأن النقود التى تكسبها تتوجه إلى الأسرة، إلا فى بعض الحالات القليلة التى تحرص فيها المرأة على أن تستقل بدخلها، وتوجهه وجهة مغايرة بعيداً عن ميزانية الأسرة. ولا تبدو القوة فى المساهمة فى ميزانية الأسرة فحسب، بل تظهر أيضاً فى الدور الذى تلعبه المرأة فى ترتيب هذه الميزانية، وفى توجيه بنودها وفى شراء متطلبات المنزل، والأولاد، والزوج. ثمة قدرة إدارية لبنود ميزانية الأسرة وتوجيهها لدى معظم الحالات التى سردنا لوحات عنها. ففى معظم الحالات تحفظ نقود الأسرة (من الزوج والزوجة) فى «محفظة» الزوجة وهى التى تديرها وفقاً لبنود يتفق عليها بين الزوجين. ويحدث فى الحالات المتطرفة أن يحصل الزوج (والزوجة أيضاً) على مصروف شهرى أو يومية مثلهما مثل الأولاد. وحتى فى الحالات القليلة التى يسيطر فيها الزوج على استحواد نقود الأسرة فى «محفظته» فإن النقود تنتهى مرة أخرى إلى الزوجة بشكل يومية لكى تدبر شئون المنزل. يبدو عالم البيت هنا وكأنه ملك للمرأة، تدير شئونه المادية كيفما شاءت، نقصد أمور تدبير شئون المنزل. تؤكد هذه النماذج على نحو غير مباشر إعادة إنتاج أنماط

ثقافية جامدة، كالقول بأن عالم الأسرة هو عالم المرأة، وأن عالم الرجل أوسع من عالم الأسرة؛ وكالقول بأن الرجل أعلى وأكبر من الأمور التافهة المتعلقة بشراء لوازم المنزل، أو توجيه ميزانية الأسرة أو الأمور المتعلقة «بالبيت» بشكل عام.

٢. تكشف المادة التي عرضناها عن ثلاثة أنماط رئيسية لعلاقة المرأة المصرية

العاملة بعالم النقود :

- النمط الأول : وهو الأكثر شيوعاً، وهو الذى يمكن أن نطلق عليه «النمط الاجتماعي» حيث تدمج الزوجة نقودها مع نقود زوجها، وتكون إدارة النقود فى يد الزوجة، مع ترك هامش من الاستقلال فى جزء بسيط من دخل كل فرد يتصرف به كيفما يشاء (غالباً ما يستمده الزوج فى شراء السجائر أو الملابس، وغالباً ما تستمده الزوجة فى مجاملات أصدقائها أو شراء ملابس لها أو لأولادها، أو تدخره إن شاءت).

- والنمط الثانى : يمكن أن يسمى **بالنمط الانسحابى** (أو التابع)، حيث تنسحب الزوجة من مسئولية حفظ النقود وإدارتها، وهى تستسلم كلياً لإرادة الزوج، وتعطيه نصيبها فى ميزانية الأسرة ليكون فى «محفظته» وهو يقوم بدوره بإعطائها مصروف المنزل كل يوم أو كل أسبوع. ويلاحظ بشكل عام أن هذا النمط ليس نمطاً متكرراً، (فلم يظهر إلا فى ثلاث حالات فقط من بين عشرين حالة). ويلاحظ أيضاً أن هذا النمط يسود فى المستويات التعليمية الدنيا، ومن ثم فى مستويات الدخل المنخفضة . ولقد عبرت النساء عن السبب فى هذا الخضوع للرجل بعبارات تدل على سيطرة الرجل، وعلى سيادة القيم الذكورية «عشان يكون هو المسئول، وعشان هو الرجل برضه»، «هو اللى عايز كده، وأنا مقدرش أقوله لا» فى حالة نقص الموارد المالية للأسرة ؛ كما تدل عبارات الزوجات أيضاً على أن الزوجة لا تريد أن تتحمل المسئولية فى حالة انخفاض الدخل ، وقد تريد أن تجعل الزوج شاهداً على بنود الانفاق التى تقوم بها كل يوم.

- والنمط الثالث : هو نمط «**المرأة القوية**»، التى تستقل بنقودها كلياً أو بجزء منها على الأقل ولا تسمح لزوجها بمسها من قريب أو بعيد. وهذا النمط قد يكون متكرراً، حيث ظهر فى (سبع لوحات) من بين عشرين حالة. ويظهر داخل هذا النمط أربعة أنماط فرعية:

(١) نمط «**المرأة الحذرة**» التى تقطع جزءاً من دخلها لنفسها تدخره أو تدخل

به جمعيات ادّخارية، لكى تضمن لنفسها رصيماً مادياً فى حالة بعد الزوج عنها.



(٢) نمط «المرأة المرفهة» التي لا يريد زوجها منها شيئاً، ويترك لها نقودها تفعل بها ما تشاء.

(٣) نمط «المرأة الوحيدة» (كالمرأة المطلقة أو الأرملة) التي تريد أن تثبت للعالم أنها قادرة على الاستمرار في الحياة رغم كل المصاعب، وأنها قادرة على أن تربي أولادها دون أن تلجأ كثيراً إلى زوجها السابق أو إلى الأسرة، أو حتى إلى الاستدانة.

(٤) نمط «المرأة الشاردة» التي تأخذ من زوجها ما يوجد به - قل أو أكثر - وتنفق هي بقدر من السخاء على أولادها، مع تأجيل الحاجات الطويلة المدى.

٣. ورغم أن دخل المرأة المستقل يمنحها قدراً من القوة، التي تتبدى في أحسن مظاهرها في إدارة ميزانية الأسرة، إلا أن معظم النساء العاملات يحرصن على أن تكون مساحة العيش أوسع من مساحة القوة. وربما يكون هذا الحرص قد نشأ من قبل الزواج. فالأسر هنا تكونت عبر التقاء أفراد يعملون أو يسعون إلى العمل. ولقد كان واضحاً في معظم الأسر قبل أن يتم الزواج أن تكاليف العيش في الأسرة مسئولية مشتركة، وكثير من النساء أخذت هذا الاتجاه عن أمهاتهن اللاتي كن يسهمن أيضاً في حياة الأسرة، وحتى إذا لم يكن موروثاً عن الأم، فقد حتمته ظروف العيش الشاقة، أقصد الموازنة بين مدخلات الأسرة ومخرجاتها، أو بين متطلباتها ومواردها، في هذا الظرف يصبح الرضوخ للعيش المشترك أمراً حتمياً. ويبدو الحرص على العيش المستمر المستقر في الأسرة في مظاهر عديدة اتضحت من الدراسة الميدانية :

\* الحرص على تأكيد فكرة الستر في الحياة، وأن الستر يعد هدفاً في حد ذاته بالنسبة للمرأة.

\* وتتوارى أمام تأكيد فكرة الستر أهداف أخرى منها الإدخار وكنز النقود. فثمة اندماج وتماهى بين الستر الذي يظل المرأة، والستر الذي يظل الأسرة، فالمرأة قد تعتبر أن «انكشاف» حالة الأسرة المادية هو «انكشاف» لها، وأن «ستر» الأسرة هو «ستر» لها. فالستر «المالي طبعاً» هو مؤشر نجاح المرأة، بل أنه يمنحها وجوداً اجتماعياً خاصاً.

\* تأكيد عدم الرغبة في الاقتراض من الآخرين حتى وإن اضطرت المرأة في بعض الأحيان إلى بيع حليها.

\* عدم رغبة الزوجة فى شراء أشياء خاصة كثيرة.

\* تحمل الحرمان فى معظم الأحيان وتأكيد فكرة الصبر فى علاقته بالحرمان، فالمرأة لا يجب أن تقترض من الغير، ويجب أن تؤجل حاجاتها الشخصية من أجل الأسرة، وقد يصل الحرمان إلى مداه فى الأسر الفقيرة، إلى حد الحرمان من بعض الأكلات أو الحاجات البسيطة للأسرة.

\* قدرة المرأة على المواءمة الدائمة، والتكيف الدائم مع الظروف المتغيرة، والظروف الصعبة. ومن الآليات التى تستخدمها المرأة للتكيف مع الظروف الصعبة شراء سلع رخيصة، شراء سلع بديلة، تأجيل شراء سلع معينة، شراء سلع بالتقسيط (خاصة السلع المعمرة كالأدوات الكهربائية) الدخول فى الجمعيات الشهرية.

٤. وقد يكون مفيداً أن ننظر بعمق أكبر إلى الحالات التى تسيطر فيها المرأة سيطرة كاملة على عالم النقود، وتظهر هذه الحالات فى الظروف التى لا تظهر فيها مشاركة حقيقية من الرجل، وأنا لا أفكر هنا فى الحالات التى يترك فيها الزوج لزوجته حرية التصرف فى مالها الخاص تشتري منه ما تشاء، فهذا الظرف يعد ظرفاً خاصاً جداً، وقد يرتبط بظروف العلاقة بين الزوج والزوجة، أو بتوجهات خاصة لدى الزوج، أو بظروف الرفاه الاقتصادى للأسرة. ولدينا بين اللوحات العشرين لوحة تدل على هذا النمط حيث تؤكد الزوجة أن زوجها لا يطالبها بأى شئ، وأنها تضع مرتبها فى دفتر توفير أو تشتري منه ذهباً. هذه المرأة لا تشعر بالمسئولية المالية تجاه الأسرة، وتضع اموالها تحت تصرفها الشخصى، فهى قد تشارك بشراء هدايا لأبنائها أو زوجها فحسب. أقول أننى لا أفكر فى هذه الحالة قدر تفكيرى فى الحالات التى تظهر فيها مسئولية اجتماعية كبيرة للزوجة تجاه أسرتها، وتجاه تحمل كل الأعباء المادية أو معظمها. وتدلنا اللوحات التى عرضناها آنفاً، أن هذا السلوك يظهر فى حالتين :

- الحالة الأولى : حالات الطلاق التى ينصرف فيها الزوج السابق كلياً عن زوجته وأولاده، ولا يتجه إليهم بأى دعم مالى. حيث تكشف المادة الميدانية هنا عن أن المرأة فى هذا الظرف قد لا تلجأ إلى الحصول على حقوقها وحقوق أولادها عبر القنوات القانونية أو حتى العرفية (هذا اللجوء يحدث فى حالات كثيرة) ولكنها تتجه وجهة أخرى تقوم على التحدى من ناحية وتحمل المسئولية الاجتماعية من ناحية

أخرى، وذلك من أجل أن تحتفظ بالأولاد، ومن أجل ألا تعرضهم لظروف اجتماعية ونفسية صعبة. لذا تحرص المطلقة - كما فى اللوحة رقم (٥) - على أن تراكم النقود، فتستقيل من عملها الحكومى، وتنخرط فى إدارة مشروع خاص من خلال قناعة تقول بأن «قرشك هو صاحبك» «والإنسان من غير فلوس ملوش لازمة» وهى لا ترغب فى مد يدها إلى زوجها، لأنه لن يعطيها شيئاً. فى هذا الظرف تبنى الزوجة صرحاً من صنعها وليس صنع الرجل، وتفخر بذلك أيما فخر.

- الحالة الثانية : حالات التباين بين الزوج والزوجة فى المستوى التعليمى لصالح الزوجة، والتباين أيضاً فى التوجهات نحو النقود، فى هذه الحالة ، تصبح الزوجة قائدة الأسرة، وهى التى توجه كل شئ فيها، حتى الزوج نفسه الذى يقل فى المستوى التعليمى، هنا يظهر - وكما تعكس اللوحة رقم ١٨- نوع آخر من المسئولية الاجتماعية، المشوبة بالتحدى أيضاً. ثمة تحدٍ هنا للظروف، وهو تحدٍ يتجلى فى الإصرار على الزواج من زوجها رغم اختلاف المستوى التعليمى، ثم مواصلة التحدي بالإصرار على أن يكمل تعليمه، ومواصلته أيضاً بالإصرار على بيع الذهب الخاص بها من أجل مشروع للزوج. وفى مقابل شح الزوج تثبت الزوجة شعوراً قوياً بالمسئولية، فتعمل كثيراً، وتكسب كثيراً، وتعطى أولادها كل ما يحتاجونه، وتقدم فى سبيل ذلك تضحيات خاصة بحرمانها من رموز المكانة.

٥- ولا يمكن فهم علاقة المرأة العاملة بالنقود دون فهم علاقتها بالأبناء. قد نتذكر هنا ما أشارت إليه البحوث من أن المرأة عندما يزيد دخلها توجهه للإنفاق على الأبناء، وتبدو هذه النتيجة متحققة هنا على نحو كبير، وقد تضيف اللوحات التى عرضناها دوراً آخر لهذه العلاقة؛ فثمة متغيرات يمكن أن تفسر هذه العلاقة بين الأم والأبناء، أو ذلك الحرص الشديد من جانب الأم على توفير حاجات أبنائها دون تردد، وربط استقرار أسرتها واستمرارها باستقرار أوضاع أبنائها ورضاهم. ولقد عبرت اللوحات التى عرضناها عن هذا الواقع بطرق عديدة يمكن حصرها فيما يلى :

- الرغبة فى بناء بيت مستقل للأولاد، وهذه إحدى الأمنيات التى تكررت كثيراً.  
- التوحيد بين حياة الأولاد وحياة الأم، فالأولاد هم كل شئ فى الدنيا ، وهم الحياة، وهم الهدف منها.

- تقديم الأبن أو البنت على النفس . فله (أو لها) الأولوية المطلقة، ولو الابن «عايز خلاص بلاش أنا».

- الحرص على أن يكون للأولاد مَدَّخرات مستقلة، وتبرر ذلك أحياناً بالقول بأن رضا الأم هو من رضا أولادها، والرضا هنا قد يعنى إشباع حاجات الأولاد وضمن مستقبلهم.

- العمل على تجهيز البنات للزواج منذ الصغر، إما بتوفير نقود لهم، أو شراء بعض مستلزمات الزواج خاصة الأدوات الكهربائية والأدوات المنزلية.

٦- وتشي البيانات بنتيجة هامة هي أنه بالرغم من حرص المرأة العاملة على استقرار واستمرار حياتها، وعلى ضمان مستقبل أبنائها، فإن ثمة قلقاً يراودها بشكل دائم نحو استمرار هذا الاستقرار. ويظهر ذلك في الحالات التي تحرص على الإدخار، أو التي تحرص على إدخار مبالغ بسيطة لنفسها من مصروف المنزل. ونصادف هنا مواقف ثلاثة تشكل أبعاد هذا القلق :

أ- الأول يظهر بشكل ظاهر لا موارد فيه، حرص شديد على اقتناء الذهب، وعلى الإدخار، وإعلان ذلك صراحة من خلال التأكيد على اعتبار أن «القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود» وقد تحرص الأسر على تنشئة بناتها على هذه القيمة، وأن تحصن نفسها ضد الزمن وقسوته- بما فيه قسوة الزوج- وتدفعها إلى الإدخار في سن مبكرة ويظل ذلك ملازماً لها عندما تكبر وتصبح زوجة.

ب- وقد يظهر هذا السلوك في شكل خوف ظاهر أو مستتر من الزوج، وعدم ضمان استمراره في العلاقة الزوجية. وقد تكون الزوجة في هذه الحالة في حالة مستقرة من العيش، ولكن يراودها خوف من أن زوجها لا يكون «جدة» معها، أى أن يطلقها وقتما يشاء.

ج- وفي بعض الحالات في الأسر الأكثر حرماناً لا يكون للزوجة من وسيلة للإدخار البسيط الا عبر توفير مبلغ بسيط جداً من المصروف اليومي لكي تصرف منه على أمورها الخاصة، خاصة مجاملاتها مع صديقاتها في المناسبات. تتحول هذه النقود البسيطة في هذا الظرف إلى رأس مال اجتماعي للمرأة يجعل لها وجهاً مقبولاً في حيز الجيرة وبين الأقارب والأصدقاء. وتحتاج قضية تحويل النقود الخاصة بالمرأة إلى رأس مال اجتماعي إلى بحث خاص. فيبدو أن الأمر كله يتعلق بهذا الموضوع، فالحرص على الاستقرار الأسري، وعلى مستقبل الأبناء، وعلى أداء الواجبات الاجتماعية، كلها أمور تتعلق برأس مال اجتماعي تحاول المرأة أن تحققه من كمية النقود البسيطة التي تمتلكها.

٧- وأخيراً فإن للمرأة طموحات مادية مثلها مثل الرجل. والمتأمل للطموحات المادية التي ظهرت في اللوحات التي اعتمدنا عليها يكتشف أنها: أولاً: تتدرج وفقاً للمستوى الاقتصادي الاجتماعي، حيث تتدرج من الأمل في شراء «صينية كنافة» إلى الأمل في شراء منزل أو بناء منزل أو شراء سيارة. وثانياً: أنها تعكس حياة المرأة وسيرتها، فإذا كان الطموح المادي لديها كبيراً، وإذا كانت قد حققت جزءاً كبيراً من طموحاتها، فإن الطموح المادي يصبح هدفاً معلناً ومبرراً بشكل واضح. وأخيراً: فإن معظم الطموحات المادية تنعكس في قضية تأمين المستقبل للأسرة وللأبناء وللزوجة نفسها في بعض الأحيان.

### خاتمة :

حاولنا في هذا البحث أن نتلمس علاقة المرأة المصرية العاملة بعالم المال. وانطلقنا من فرضية مفادها «أن النقود بالنسبة للمرأة العاملة ليست وسيلة لخلق فضاء للقوة والاستقلال فحسب، بل هي وسيلة لخلق فضاء من العيش المستقر». ولقد أكدت المادة الكيفية التي اعتمدنا عليها، والتي قدمناها في عشرين لوحة مختصرة، إمكانية صدق هذه الفرضية مع تعديل أو قل تطوير فيها؛ ما يؤكد أن النقود ليست وسيلة لخلق فضاء للعيش مستقر فقط، بل هي وسيلة لتأمين المستقبل، ولضمان حياة كريمة للأطفال، ولخلق رصيد من رأس المال الاجتماعي الذي يمكن المرأة من أن تحقق استقراراً اجتماعياً ونفسياً، وتوازن بين الأهداف المتعددة والمتعارضة أحياناً، كما توازن أيضاً بين الأهداف الخاصة بها والأهداف الخاصة بالأسرة والأبناء.

وتقودنا هذه النتيجة إلى أن نؤكد في النهاية على أن العلاقة بين المرأة والمال هي علاقة معقدة تتداخل فيها متغيرات متعددة، ويحتاج فهمها بعمق إلى دراسات تفصيلية حول موضوعات قد لا تبدو قريبة من الموضوع الأصلي، مثل علاقة المرأة بالنقود في عالم الطفولة، والتنشئة المالية للمرأة، والتاريخ الزوجي لها، وخبرة الزواج وشروطه، وطبيعة العلاقات المالية للمرأة فيما قبل الزواج وبعده. إننا هنا بصدد علاقة أكثر تعقيداً من الطرح المبسط المرتبط بالعلاقة بين تملك المرأة للنقود وتملكها للقوة، وإن مراجعة هذه العلاقة في السياق العربي تحتاج إلى بحوث عديدة.